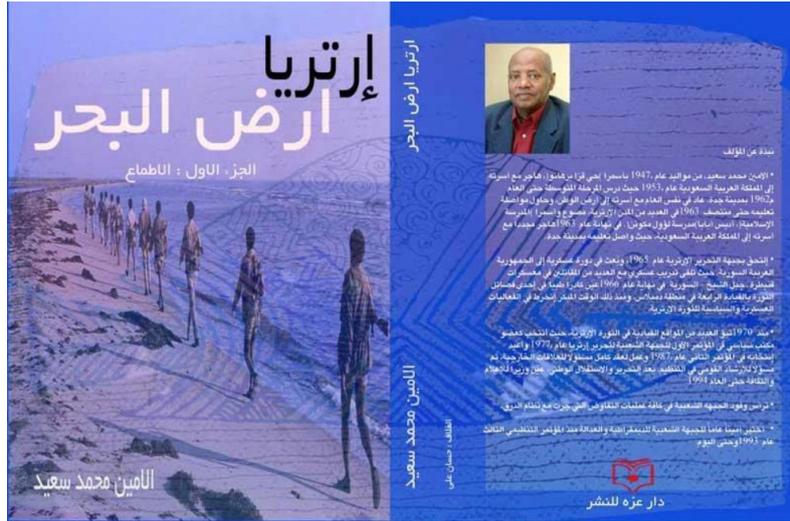


الحلقة الخامسة

الفصل الرابع:

"لا توجد شؤون إرترية، بل شؤون إثيوبية" (1)



(1)

انقسمت الاحزاب الارترية الى كتلتين كبيرتين، عرفت الاولى "بالكتلة الانضمامية" تزعمها "حزب الوحدة" والتي كانت تطالب بصورة صريحة ومعلنة بالانضمام الى اثيوبيا. وتمثلت الثانية "بالكتلة الاستقلالية" التي كانت تطالب بالاستقلال الناجز، وان اختلفت فيما بينها بين من يطالب "بالاستقلال الفوري" وبين من يطالب "بفترة من الانتداب" يصحبه "الاستقلال التام".

ومن هنا فالقرار الفيدرالي الذي اصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر من عام 1950م لم يكن يحظى بقبول كلا الكتلتين المطالبة "بالانضمام او الاستقلال". ولم يكن هناك حزب معين طالب بربط ارتريا فيدراليا بإثيوبيا بصورة رسمية، سوى من عرف "بالرابطة الاسلامية للمنخفضات الشرقية".

(1) فقرة من خطاب أندلكتاشو ماساي، المندوب السامي الاثيوبي في ارتريا بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الارترية لعام 1955م.

وعلى الصعيد الشعبي، وبصفة خاصة لم يكن ادريس ورفاقه مرتاحون للقرار الفيدرالي. فهم وان كانوا من المطالبين بالاستقلال الوطني، فانهم كانوا يتوقعون وكأسوء تقدير، ان تخضع ارتريا لوصاية دولية، اذا تعذر حصولها على الاستقلال. واخذ كل واحد منهم يفسر اسباب اتخاذ ذلك القرار لعوامل خارجة عن ارادة شعب لارتريا.

فقد كان حقوص اعدوم يرى ان ما وصلت اليه الامم المتحدة فيما يتعلق بمصير ارتريا، لم يكن سوى نتاج للتآمر الاثيوبي مع بعض زعماء ارتريا من رؤساء الطوائف الدينية والقبلية. بينما كان اسماعيل يرى بان الخوف من مواجهة اثيوبيا وحليفها بريطانيا، هو الذي ادى الى ان تتبنى الامم المتحدة قرار الاتحاد الفيدرالي المشؤوم. اما ادريس وعلى الرغم من تسليمه وموافقته باعتقادات زميليه، فقد كان يري بان القرار الفيدرالي، لم يكن سوى استجابة للطرح الامريكي القاضي بربط ارتريا باثيوبيا فيدراليا، حتى يتسنى لها السيطرة على حوض البحر الاحمر ومنطقة القرن الافريقي.

كان الكل مستاءا بالاضافة الى اتخاذ القرار، للحالة الامنية المنفلتة في عرض وطول البلاد، بالاضافة للتدهور المعيشي لعموم السكان. ومما زاد الطين بلة عجز الكل من التصدي للمؤامرات الداخلية والخارجية.

وذات مساء وبينما الزملاء الثلاثة يتبادلون الآراء في دكان ادريس محمد صالح، قدم اليهم احد وجهاء المدينة، ويدعى السيد بخيت ليقول لهم:-

- هناك معلومة تفيد، بان وجهاء البلاد من زعماء الاحزاب والطوائف الدينية، وبدعم من الادارة البريطانية ينوون عقد اجتماع عام بهدف بحث تطورات الاحداث السياسية.

تدخل إدريس قائلاً:-

- ماذا سوف يبحث الاجتماع ومن سوف يحضره؟

رد السيد بخيت قائلاً:-

- علمت بان العديد من اعضاء الكتلتين الكبيرتين، كتلة "الانضمام" وكتلة "الاستقلال" يدفعون باتجاه نسيان ماكان بينهم، والبدء بصفحة جديدة تؤدي الى تحقيق الوفاق الاجتماعي والسلم الوطني. وانهم يحظون برضى وموافقة السلطات البريطانية.

ركز إدريس نظراته الحادة على السيد بخيت ليسأل:-

- اين سيعقد الاجتماع.

رد السيد بخيت قائلاً:-

- حسب توقعاتي سوف يعقد في مدينة اسمرأ.

وما ان انصرف السيد بخيت حتى قدم حقوص الاقتراح التالي:-

- علينا حضور الاجتماع المزمع عقده في اسمرأ حتى لو كلفنا هذا كل ما

نملك من مال ووقت.

كان ادريس متشائماً من الاوضاع العامة التي كانت تمر بها البلاد. ومن هنا فانه لم يرغب في ان يحضر ذلك الاجتماع في اسمرأ مع زميليه. فأقترح ان يحضر الاجتماع كل من اسماعيل وحقوص، ويبقى هو في مدينة مصوع.

خلال يومين جهز كل من اسماعيل وحقوص حالهما، واستأذن اسماعيل اهله، وتوجها بالقطار المحمل بمواد البناء، قاصدين اسمرأ. ومن ان وصلها، حتى علما بان الاجتماع سوف يعقد غدا في احدى قاعات اسمرأ المخصصة للعروض السينمائية. فلم يكن لهما من بد سوى البحث عن مكان يقضيان فيه ليلتهما. إلا انهما فشلا في الحصول على ذلك. اذ تم حجز كل اماكن المبيت في المدينة، خاصة تلك المتواضعة منها، من قبل القادمين من مختلف مناطق البلاد لحضور الاجتماع المرتقب. واصبح من المتعذر عليهما التوجه الى قرية تكول حيث توجد

عائلة حقوص وذلك لبعدها بحوالي العشرون كم عن اسمرا. واخيرا اقترح
حقوص:-

- لا أمل لنا سوى البحث عن مكان ما في احدى ارصفة ازقة حي
"قزبرهانو" او حي "اباشاول" نقضي فيه ليلتنا.

رد عليه اسماعيل قائلا:-

- لا مانع لدي، فأنا كما تعلم لاعلم لي بالاحياء التي ذكرتها.

لم تكن ارصفة ازقة "اباشاول" او حتى "قزبرهانو" جاهزة لاستقبالهما. فقد كانت
هي الاخرى مليئة بل مكدسة، ليس بالقادمين لحضور الاجتماع، بل بعشرات من
اجساد البشر الهائمين الذين تقطعت بهم سبل الحياة العادية، ليضطروا للبحث عن
لقمة عيشهم من خلال التسول نهارا، والنوم على ارصفة ازقة الاحياء الفقيرة
المظلمة من مدينة اسمرا ليلا.

بينما كان الزميلان يبحثان لهما عن قطعة ارض في الارصفة المبتلة ببراز وبول
اجساد البشر المتناثرة، لاحظا إنبثاق ضوء من احدى نوافذ المنازل المتراصة
بصورة متهالكة، وسرعان ماسمعا صوت امرأة تنادي.

- حقوص ... انت يا حقوص يا ابن عمي ارعدوم.

التفتا الى مصدر الصوت، فشاهدا امرأة في عقدها الثالث وهي تلوح لهم بالقدم
اليها. وما ان وصلا اليها حتى ايرتمت على حقوص، واخذت تقبله تارة في خده
الايمن وتارة اخرى في خده الايسر، والدموع تتساقط من عينيها. وللحظة لم يتمكن
حقوص من معرفتها. الا انه وبعد لحظات تمكن من معرفتها، ليعانقها ويغرق هو
ايضا في موجة من البكاء.

استغرب اسماعيل للمنظر الذي امامه. فهو وعلى الرغم من عيشه في مدينة
مصوع التي تعج بأبناء البلاد من المرتفعات، والهضبة الوسطى ، والمنخفضات

الغربية وحتى من اطراف واقاصي دنكاليا، لم يألف مثل هذا المشهد الذي يتعانق فيه جسد امرأة بجسد رجل.

اخذت المرأة تجر حقوص من يده للدخول الى بيتها، بينما اسماعيل تسمر في مكانه. وسرعان ما تنبه حقوص لحال زميله، فبدأ بدعوته للدخول الى البيت معه. فدخل وهو يلتفت يمنا ويسرى عله يكتشف المزيد من طبيعة تلك المرأة المجهولة. اخذ حقوص والمرأة يتذكران قريتهما، قرية تكول، وتحدثا حول طفوليتهما، والحياة البسيطة التي كانا يعيشانها مع اهليهما. وفجأة بدأت المرأة تحكي كيف ولماذا وصلت الى اسمرا قائلة:-

- لم يكن من الممكن ان اعيش لوحدي في القرية خاصة بعد وفاة والدي، ومن ثم والدي. وازدادت معاناتي عندما هجرني اخي تسفاي. فقررت ان اترك قريتنا، واتوجه الى المدينة طلبا للرزق.

لم يمهل حقوص المرأة لمواصلة حديثها اذ قاطعها قائلاً:-

- وماذا تفعلين هنا، وكيف تكسبين رزقك؟.

إبتسمت المرأة وسرعان ما قالت:-

- انني اعيش في هذا المكان منذ عام. واقوم بكسب لقمة عيشي من خلال

بيع السوا، وفي بعض الأحيان اعرض جسدي للراغبين فيه.

ادرك حقوص مقصد المرأة، بينما كان اسماعيل صامتا. وعلى الفور قامت المرأة بتقديم طعام العشاء وبعده فرشت لهم بطانية مصنوعة من وبر الغنم، وطلبت منهما النوم دون ان تسألها عن مقصد مجيئها الى اسمرا.

في السادسة والنصف صباحا، قامت المرأة بإيقاظ الرجلين. وفي لحظات احضرت لهما طعام الافطار المكون من قطعة خبز وكوب شاي. فإلتقت حقوص نحوها قائلاً:-

- لا ادري كيف اعبر لك عن شكرنا وتقديرنا. فبدون مساعدتك لما قضينا
ليلتنا بسلام. وكان بودنا قضاء اليوم كله معك، لاكننا مرتبطان بعمل.

ردت المرأة قائلة:-

- لا عليك فنحن اخوة ومن واجبي استضافتكم.

واضافت سائلة:-

- اين انتما ذاهبان، لماذا لا تمضيان يومكم معي؟ سوف اقوم بتجهيز
طعام الغداء لكما، دون ان يكلفني ذلك كثيرا.

تأثر اسماعيل بما قالته وعلى الفور قال:-

- اننا نشكرك على ما قمت به من اجلنا. وكان بودنا قضاء اليوم معك،
الا اننا على موعد لحضور احدى الاجتماعات، وعلينا حضورها ومن ثم
التوجه الى مكان عملنا في مصوع.

حاولت المرأة ان تبقيهما قدر المستطاع الا انها لم تتمكن، فودعتهما.

توجه الصديقان الى مكان الاجتماع الذي بدأ في صباح يوم 31 ديسمبر 1950،
وسرعان ما انفض الاجتماع، فتوجه مرغمين للحاق بقطار الثانية ظهرا المتوجه
الى مدينة مصوع.

في اليوم الثاني التقيا عند زميلهم إدريس فبادرهما سائلا:-

- خير انشاء الله لماذا عدتما سريعا؟

التفت حقوص نحو اسماعيل ليقول:-

- لم يكن هناك اي داعي للمكوث اكثر مما ينبغي في اسمرأ.

ادرك ادريس بان من الواجب وقبل التطرق لنتائج الاجتماع الذي عقد في اسمرأ،
استضافة زميليه. فقام بطلب ثلاثة اكواب من الشاي من القهوة المجاورة لدكانه.

واثناء ذلك اعاد طرح السؤال بشكل آخر:-

- كيف سار الاجتماع؟.

حاول حقوص ان يعطى اسماعيل الفرصة للتحدث في البداية ردا على سؤال ادريس. الا انه اعتذر له وفضل ان لا يتحدث هو في البداية مقترحا:-

- من الافضل ان تتحدث انت، وسوف احاول مساعدتك.

انبرى حقوص ليقول:-

- عقد الاجتماع الذي سمي "ب مؤتمر السلام" في قاعة سينما إمبيرو في

اسمرا في صبيحة 31 ديسمبر 1950. وقد حضره جمع غفير من

المواطنين، بالإضافة الى بعض من قادة الاحزاب، ورجال الادارة

البريطانية، والعديد من زعماء الطوائف الدينية.

بعد ان اخذ نفسا عميقا اضاف وهو يقول:-

- كان ابرز الحاضرين والمتحدثين الراس تسما الذي عرف نفسه كـممثـل

"للكتلة الاستقلالية"، والرأس كداني ماريام قبرمسقل ممثلا "لحزب

الاتحاد".

واضاف قائلا:-

- كان المتحدثون يركزون على ضرورة تحقيق السلم والتضامن بين ابناء

البلد الواحد، والابتعاد قدر المستطاع عن الامور السياسية، والتمسك

ببعض المقولات مثل "ما فات قد مات" و "نحن ابناء اليوم".

ظهرت امارات التعجب على ادريس وهو يسأل قائلا:-

- كيف وبأي حق يطالب من يمثلون "الكتلة الاستقلالية" ان يبتعد الناس

عن الامور السياسية؟.

تحمس اسماعيل وهو يرد قائلا:-

- حسب فهمي وملاحظاتي لم يكن القصد من عقد الاجتماع، والذي سمي

زورا وبهتانا بـ "مؤتمر السلام" الا من اجل الحصول على دعم لقرار

الاتحاد الفيدرالي. وليس من اجل بحث الوضع السياسي المتري في البلاد.

واضاف:-

- لقد صفق الكل للعبارات التي كان يردها زعماء الطوائف مثل ضرورة "تحقيق السلام" و "الاخوة الارترية". ولم يتجرأ اي احد للتطرق للظلم الذي لحق بشعب ارتريا.

اردف ادريس سائلا:-

- وما هي النتائج التي خرج بها الاجتماع المذكور؟.

التفت حقوص نحو اسماعيل وكأنه يريد الاستئذان للرد على سؤال ادريس. وبإماعة من اسماعيل بالموافقة واصل حقوص:-

- خرج الاجتماع بعدة توصيات من ابرزها العمل على احترام قرار الاتحاد الفيدرالي، وتسهيل مهمة مبعوث الامم المتحدة السيد أنزو ماتينزو، والعمل على ترسيخ الامن والسلام في البلاد.

بعد ان لاحظ اسماعيل توقف زميله تدخل مضيافا:-

- بالإضافة الى ما ذكر فقد ركز الحضور ايضا على ضرورة توحيد جهود القدرات الارترية باتجاه تحقيق بناء ما دمرته الخلافات السياسية الارترية.

واضاف قائلا:-

- وقد كانت هذه المسألة من اهم المسائل التي حظيت برضى وقبول كل الحاضرين. عدى ذلك فقد كان كلاما إنشائيا جميلا يدغدغ عواطف الناس.

اجمع الثلاثة بان اجتماع "مؤتمر السلام" لم يكن سوى محاولة من محاولات الادارة البريطانية لانتزاع رضى وقبول الناس بقرار الاتحاد الفيدرالي. كما اتفقوا على ان بلادهم سوف تمر بمرحلة حرجة، تحتاج من كل الحاديين على الوطن الارتري

ﺍﺧﺬ ﺍﻟﺤﻴﻄﺔ ﺗﺠﺎﻩ ﺍﻟﻤﺤﺎﻭﻻﺕ ﺍﻟﻘﺎﺩﻣﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﺗﺴﺘﻬﺪﻑ ﻃﻤﺲ ﻭﻣﺴﺎﺩﺭﺓ ﺣﻘﻮﻕ
ﺍﻟﻤﻮﺍﻁﻨﻴﻦ.

(2)

مضى على زواج حقوص ارعدوم اكثر من عامين، وكان من المفترض، وفقا لما تمليه عادات وتقاليد سكان قرية معلو، ان تقوم السيدة أم ترحس بزيارة ابنتها لتفقد احوالها والاطمئنان على صحتها. وكانت السيدة أم ترحس تعزي عدم قيامها بواجب زيارة ابنتها للظروف التي كانت تعيشها. فهي مثل كل الامهات، كانت تخشى السفر الى اماكن بعيدة مثل مصوع، وذلك لإجراءات الامن المتشددة التي كانت تقوم بها السلطات الاستعمارية البريطانية، التي لم تكن تسمح بحرية تنقل المواطنين من مدينة الى اخرى، بالاضافة الى ذلك فإنها كانت تخشى ان لا تعترضها عصابات قطاع الطرق (الشفتا) التي كانت تنشط على طول طريق اسمر - مصوع.

وذات صباح قامت مذعورة من نومها، اذ رأت في منامها وكأن مكروها اصاب ابنتها. وما ان انتصف نهار ذلك اليوم حتى هرعت الى منزل السيدة لؤلؤ، وبعد السلام والاطمئنان على صحتها قالت:-

- مضى وقت طويل وانا لا علم لي بأحوال ابنتي ترحس وزوجها حقوص.

ردت السيدة لؤلؤ قائلة:-

- كان من المفترض علينا زيارتهما. لكن وكما تعلمين ان ظروفنا المادية لا تسمح لنا بتحقيق ذلك.

واضافت قائلة:-

- ظروفنا لم تعد هينة. فنحن نصارع الحياة من اجل توفير لقمة عيشنا. وقد كان من الصعب علينا توفير تكاليف السفر واحتياجاته. واصبحت الشائعات والاقاويل التي يرددتها الكثيرون حول مخاطر طريق اسمر - مصوع مفرعة، ولا تشجع على السفر الى مصوع للإطمئنان على اولادنا.

وما ان انتهت كلامها حتى احست أم ترحس بان عليها ان تقنع السيدة لؤلؤ بضرورة التوجه الى مصوع معا للقيام بزيارة ترحس وزوجها حقوص. وبعد ان اخذت رشفة من فنجان القهوة الذي كان امامها قالت:-

- نعم ان اوضاعنا لم تكن مشجعة يوما. لكن هذا لا يعني ان نستسلم. بل علينا توفير ما نحتاجه للوصول الى مصوع وزيارة فلذات اكبادنا، خاصة واننا لا ندري عن احوالهما.

واضافت وهي تقول بصورة متشائمة:-

- ان الاعداد ليست بيدنا. وكما ترين فان الكبر قد اخذ منا الكثير. وان ايامنا اصبحت معدودات. واخشى ان يداهنا المرض ونعجز من تحقيق مرادنا.

انتفضت السيدة لؤلؤ، وكان ما قالتها أم ترحس سوف يتحقق بين ليلة وضحاها، فقالت:-

- لا عليك، فلازلنا بالقادرات على تحقيق ما نريده. وان تعذر علينا توفير بعض النقود لتغطية تكاليف سفرنا فإننا يمكن ان نبيع بعضا من دواجننا و ...

وقبل ان تكمل حديثها قاطعتها أم ترحس وهي تقول:-

- انني املك بعض من النقود. فقد تمكنت خلال الاشهر الثلاثة الماضية من صنع بعض ألبان⁽¹⁾، وتحصلت على بعض النقود من بيعها في سوق القرية. واخرى تحصلت عليها من خلال بيع خمسة أبو سنتي⁽¹⁾ من السمن البلدي. وهذه المبالغ قد تمكنا من تسديد منصرفات سفرنا.

برقت عينا السيدة لؤلؤ وعلى الفور ردت:-

⁽¹⁾ ألبان جمع للجبنة، وهي وعاء يتم فيه غلي مسحوق البن، يصنع من الفخار.

⁽¹⁾ أبو سنتي هو وعاء زجاجي او معدني يستخدم كمقياس لقياس كمية السمن، يبلغ سعته ثلاث ارباع اللتر.

- حسنا أنا ايضا وفرت منذ العام الماضي بعضا من النقود يمكن ضمها الى ما وفرتيه لتحقيق رغبتنا بالسفر الى مصوع.

اتفقت السيدتان على التوجه الى مصوع لزيارة ترحس وزوجها حقوص. مرت ثلاثة ايام سريعا. واستعدت السيدتان، بعد ان اخذتا الإذن من أزواجهن للسفر، غير عابئتين بمخاطر الطريق بل كان شاغلهما رؤية ابنائهن. وفي تمام الساعة السادسة عصرا توقف القطار في محطته الاخيرة، الا وهي محطة ميناء مصوع.

من محطة الميناء، توجهتا الى بيت حقوص اعدوم الذي لم يكن يبعد سوى امتار معدودات عن محطة القطار. وما ان دقت احدهن باب الدار، حتى لاحظن ترحس تقف امامهن شامخة بلحمها وشحمها. وتسمرن في مكانهن من وقع المفاجئة. وانصب جهد السيدتان في احتضان ترحس وتقبيلها وهن يكفكن الدمع. ومرت اللحظات سريعا وهن في عناقهن الحميمي، ولم يشعرن بأنفسهن الا عندما ولجن البيت.

رحبت ترحس بأمها وحماتها. وعلى الفور قامت بتحضير دلوين من الماء، وطلبت منهن خلع ملابسهن والقيام بالاستحمام، عل ذلك يبعد عنهن ما علق بهن من اترية الطريق، ويبعد ويخفف عنهن متاعب السفر، ووطأة حرارة طقس مدينة مصوع الجاف.

لم تمض دقائق معدودات حتى قامت ترحس ايضا، بقشر وتقطيع بصلة متوسطة الحجم، كما تفعل معظم نساء مدينة مصوع، لتقديمها لامها وحماتها، كدواء لتحمل تغيرات الطقس. كما قامت برش الارض بالماء لتبريد حوش البيت. وجهزت عدة القهوة، وقامت بغلي ذرة الماشيلا، واحضرت ماء باردا للشرب من الزير الذي كان منتصبا في احد اركان البيت.

ما ان فرغت السيدتان من الاستحمام، حتى توجهن الى حوش الدار الذي كانت تنتظرهن فيه ترحس لتناول القهوة. وأخذن بتبادل اطراف الحديث الذي انصب في مجمله عن الاستفسار عن صحة ترحس وزوجها. والتعبير عن اشواقهن، والتأكيد على محبتهن لترحس، والاعتذار لها عن عدم قدرتهن للمجيئ لزيارتها طيلة الفترة الماضية.

قدرت ترحس ظروف امها وحماتها، بل زادت في ذلك قائلة:-

- إنني اقدر ظروفكن، خاصة ونحن نعيش اياما صعبة تمر بنا. وكان عليّ في مثل هكذا حالات، ان اقوم بمعية زوجي بزيارتكن والإطمئنان عليكن. إلا انني لم اتمكن، اذ انني ومنذ وطأت قدمي ارض هذه المدينة، وأنا اعاني من حمى الملاريا التي ما ان اشفى منها حتى تعاودني مرة اخرى.

تدخلت أم ترحس مقاطعة:-

- كيف يتعرض المرء لمثل هذا المرض الخبيث في مصوع؟ اذ ان الكل يقر، بان البعوض لا يستطيع البقاء والعيش في مناطق حارة مثل مصوع، ويجد المجال لإمتصاص دماء سكان البلاد.

استدركت ترحس لتقول:-

- نعم فالبعوض لا يتمكن من نقل الملاريا في مصوع. وانا لم اصاب بهذا المرض اللعين إلا في منطقة بعريزا، الواقعة بين قرية قندع ومدينة مصوع.

وجاء الدور على السيدة لؤول لتدلوا بدلوها سائلة:-

- وكيف انت الآن، وهل شفيت تماما؟.

ردت ترحس قائلة:-

- نعم انني وبفضل الله، وبفضل الطبيب الهندي الذي يعمل في الميناء، شفيت تماما، وذلك بعد ان امر لي ببعض من الادوية التي تقضي على الملاريا.

انتهت مراسم تناول القهوة. وعلى الفور احضرت لهن ترحس العشاء. وقامت بإخراج عنقريبين⁽¹⁾ من الغرفة المجاورة، ووضعتهما في حوش الدار، وفرشت فوقهما ملائتين نظيفتين، وطلبت منهن الإسترخاء فوقهما، ريثما يأخذهن النوم. الا ان السيدتان لاحظتا عدم ان حقوص لم يحضر بعد، وان الساعة قد شارفت على العاشرة ليلا. فانبرت السيدة لؤول لتقول:-

- اين حقوص، ولماذا لم يأت حتى الآن؟.

ردت عليها ترحس قائلة:-

- لا تقلقي فإن ابنك لازال في العمل. واخبرني وهو ذاهب الى عمله في الصباح، بان هناك باخرة إنجليزية، محملة ببعض المواد التي تخص الجيش البريطاني، سوف ترسو في الميناء، وان تفريغها قد يأخذ منهم الليل كله. وانه سوف يتأخر، وسوف لن يتمكن من العودة الى البيت قبل منتصف الليل.

اطمأنت السيدة لؤول على ابنها. ولم يمض الوقت طويلا، حتى غرقت السيدتان في نوم عميق.

في الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي، احست أم ترحس، بأنها قد اخذت قسطا وافرا من الراحة. وان محاولة الاستمرار في النوم سوف لن يفيدها كثيرا، فقررت مفارقة العنقريب وإيقاظ السيدة لؤول. وتوجهتا مباشرة الى الحمام، وافرغت مافي امعائها ومثانتها.

(1) العنقريب هو سرير خشبي صغير يستخدمه سكان مدينة مصوع.

قامت ترحس من نومها في الخامسة واغتسلت وقامت بتجهيز طعام الافطار لزوجها وضيفتيها، والذي تكون على غير العادة من عصيدة ذرة الماشيلا، وسمن بلدي، وكمية وافرة من حليب الماعز. بعد اعداد الطعام ايقظت زوجها طالبة منه تناول افطاره مع امه وحماته.

قام حقوص على عجل من مرقدته. ودلف الى الحمام ليغتسل ثم توجه الى امه وحماته، وسلم عليهن بحرارة فائقة، وعبر لهن عن سعادته لزيارتهم، وهو يتناول طعام افطاره معهن. وقد بادلتها السيدتان نفس الاحساس والشعور. وبعد قليل اختلى بزوجه وسلمها بعضا من النقود، طالبا منها التوجه الى السوق لشراء بعض الاحتياجات من اللحوم والخضر لوجبة الغداء. وأستئذن للتوجه الى عمله في الميناء. فتعالت دعوات السيدتين له بالسلامة والتوفيق.

إستغلت السيدتان خروج ترحس الى السوق لشراء ما امرها به زوجها. وقررتا التحدث عن انطباعاتهم ومشاهداتهم فأستهلت السيدة لؤلؤ الحديث قائلة:-

- يبدو ان ترحس في صحة جيدة وكذا حقوص.

ردت أم ترحس قائلة:-

- انني احمد الله بان وجدت ابنتي في صحة كاملة.

واضافت وهي تسأل:-

- الم تلاحظي تغيرا ما طراً على جسم ترحس ؟.

ردت السيدة لؤلؤ قائلة:-

- لقد لاحظت بروزا في بطنها نوعا ما. إلا انني لا ادري اهو دليل حمل

ام لاء ؟ ام انه نتيجة لشرب السوائل بكثرة، والذي اعتاد عليه اهل هذه

البلاد ؟.

واضافت قائلة:-

- يمكننا التأكد عن الحقيقة من خلال ترحس نفسها.

مضت لحظات قبل ان تفيق أم ترحس من شرودها لتقول:-

- لا ادري اهو حمل، ام نتاج لمرض الملاريا الذي كانت ترحس تعاني

منه كثيرا؟. فأحدى آثار الملاريا، كما يعتقد الكثيرون، انه يخلف نوعا

من الانتفاخ في البطن، يزول تدريجيا مع مرور الوقت.

ردت السيدة لأول وهي تقول:-

- لا اعتقد بان انتفاخها هو نتاج لتأثير مرض الملاريا. وحبذا لو كان ذلك

الانتفاخ دلالة على حمل ترحس.

إنبرت أم ترحس لتقول:-

- اتمنى صادقة ان تكون ترحس حاملا. فقد مضى عامان على زواجها،

ولا توجد هناك اسباب تحول عن تحقيق الحمل.

وأضافت:-

- ان الحمل في اسرتنا لا يكون واضحا بما فيه الكفاية. فعندما حملت

بترحس لم يظهر عليّ امارات الحمل إلا في الشهر السابع، او ربما

الثامن. وقد يكون هذا منطبقا ايضا على ابنتي. وعلى كل حال علينا

التأكد من ذلك، كما قلت من ترحس نفسها.

كان هم السيدتان معرفة هل ترحس حامل ام لا؟. تجاوزن معاناتهن من السفر

ومن الابتعاد عن ازواجهن ومنازلهن، فصار همهن معرفة حقيقة حمل ترحس.

ومع ذلك ودون ان يتوصلن للنتيجة المرجوة، اتت ترحس حاملة معها ما إبتاعته

من السوق.

قررت السيدتان، وعلى الرغم من معارضة ترحس، المساعدة في اعداد طعام

الغداء. فبدأن بتقشير البطاطس وتنظيفه، وتقطيع اللحم على شكل اوصال

صغيرة، واحضرن اواني الطبخ. وخلال الساعة والنصف تمكن، بخبرتهن الطويلة

من اعداد الطعام. بينما قامت ترحس بتنظيف برنדה وحوش المنزل، وتوجهت الى بائعة الانجيرة الموجودة في ركن شارع منزلها لشراء مايلزمها.

جلست النسوة الثلاث في برنדה المنزل، واخذن يتجادبن، اطراف الحديث حول الطقس في كل من مصوع وقريتهن، اثناء الطعام وعرجن على ذكرياتهن عن قرية معلو. واثناء ذلك وبدون مقدمات تجرأة السيدة لؤلؤ وهي تخاطب ترحس قائلة:-

- مضى عامان على زواجك، ونحن نريد ان نفرح بمولودك البكر.

وجاء دور أم ترحس لتقول:-

- إنا في لهفة لمعرفة متى سوف يكون مقدم المولود؟.

تأكدت ترحس بأن أمها وحمايتها مصرتين على معرفة حقيقة حملها. وبدون اي تردد قالت:-

- أبشركن بأنني حامل وفي شهري الثامن. ولم يتبقى لي سوى شهر واحد.

وكنت اعتقد بأنكن قد لاحظتن تغيرا في جسمي كدلالة للحمل، ولذلك لم

اصارحكما منذ البداية.

استبشرت السيدتان خيرا. وبدأت إمارات الفرح والسعادة تغمر وجوهن. وعلى الفور نهضتا وملاأتا الدار بالزغاريد، ولم تتوقفا إلا عندما أمرتهن ترحس. ودون ان يشعرن ايضا إرتمين على ترحس تقبيلا وعناقا. وما هي لحظات حتى جاء حقوص ليخلصها من عناقهن، وليشاركهن فرحتهن.

بعد تناول طعام الغداء معا في جو مليء بالفرح، والشكر لله على النبا السعيد، إقترحت أم ترحس قائلة:-

- إنا جدا سعداء بالنبا السعيد. وعلينا الاستعداد منذ الآن، ودون اضاءة

الوقت لتجهيز لوازم الولادة، واستقبال مولودنا البكر. ولتحقيق ذلك علينا

العودة اليوم الى قريتنا لنعود سريعا في فترة لا تتجاوز الاسبوعين.

لم تبد السيدة لؤلؤ اي اعتراض على الاقتراح الذي قدم اذ قالت:-

- انه رأي مقبول. وعلينا كما قالت أختي أم ترحس العودة الى قرينتنا وتجهيز مايلزم.

إلا ان حقوص، ومعه ايضا ترحس لم يوافقا على الاقتراح، فقال:-

- انني اقبل ان تعدن سريعا، والقيام بتجهيز ما يلزم. الا انني لا اوافق على ذهابكن اليوم. عليكن المكوث معنا لثلاثة ايام على اقل تقدير. وهذا ما يفرضه واجب الزيارة.

ردت عليه أم ترحس:-

- اننا نشكرك على ما قلته. لكن الضرورة تحتم علينا العودة اليوم وليس الغد. اذ ان الوقت سوف لن يكفينا لتجهيز ما نحتاجه، ان لم نقم الآن بذلك ودون تأخير او تردد.

وافقت السيدة لؤلؤ على ما قيل وهي تقول:-

- خير البر عاجله يابني.

توجهت السيدتان الى محطة قطار الميناء للسفر الى اسمرأ ومنها الى قرية معلو. عادت أم ترحس الى قرية معلو، واخبرت زوجها السيد حدقو عن احوال واوضاع إبنتهما. وبناء على ذلك إتفقا على ان يقوما بما يمليه عليهما واجب مساعدة ترحس، خاصة وانها في شهرها الثامن، فأقترح قائلا:-

- إنك تعلمين تماما بأن لا امكانية مادية مباشرة لنا، تمكنا من مد يد العون لإبنتنا، بصورة مستعجلة. إلا انني ارى ان نبيع بعضا من ما نملكه من المواشي لمساعدة إبنتنا.

فاضت عينا أم ترحس وامتألت بالدمع الذي تشبث بجدران العينين. وعندما

لاحظ السيد حدقو ذلك، تأثر لحال زوجته، واراد ان يخفف عنها ذلك فقال:-

- لا عليك يا أم ترحس فنحن يمكن ان نعطي لأنفسنا بعضا من الوقت، ريثما نتمكن من بيع بعض المواشي، ونحقق رغبتنا في المساعدة.

ثم اضاف :-

- الآن اريد منك ان تحدد لي كم من الابقار يتوجب علينا بيعها، لنحقق ما نريده.

التفتت أم ترحس يمينة ويسرى، وبدأت بحك رأسها، كما تفعل في حالة انفعالها وقالت:-

- قبل تحديد كمية الابقار التي نريد بيعها، علينا اولاً تحديد ومعرفة المستلزمات التي نحتاج اليها.

وعلى الفور سأل السيد حدقو قائلاً:-

- وماهي الاحتياجات التي تلزمنا ؟.

ردت ام ترحس قائلة:-

- للمرأة الحامل إحتياجات متعددة، البعض منها يمكن توفيره مما نملكه مثل السمن البلدي، العسل، القمح والشعير. والبعض الآخر لا يمكن توفيره إلا من خلال شرائه من اسواق مدينة مصوع مثل الحليب، السكر، اللحوم الطازجة، الدواجن، ألبن والشاي، الحلبة، حبة السوداء، الزنجبيل، البخور وغيره من الحبوب الزيتية...إلخ.

تدخل السيد حدقو بنبرة لينة لكنها جادة:-

- اعتقد باننا يمكن ان نوفر كل هذه الاحتياجات، فإبنتنا تستحق كل خير، خاصة وانها على ابواب وضع مولودها البكر. لذلك فإنني ارى بان بيع واحدا من الثيران الثلاث التي نملكها سوف يحقق لنا في تقديري توفير ما نحتاجه.

اتفق الزوجان، وباع السيد حدقو أحد ثيرانه، وسلم عائده لزوجته ليكون تحت تصرفها المطلق.

ما ان انتهت فترة الخمسة عشر يوما المحددة، حتى توجهت السيدتان مجددا الى مدينة مصوع. ليجدن ترحس في حالة صحية جيدة، وعلى اتم استعداد لخوض تجربة ولادة الطفل البكر.

منذ ان قدمت الى مصوع، وقبل اسبوعين من ميلاد الطفل البكر، قامت السيدتان بتعليق ريال ماريا تيريزا الفضي، واحد أنياب نمر صغير، وقطعة صغيرة من زيل احد الغزلان على رقبة ترحس، اعتقادا من ان ذلك يمكن ان يحميها من العين، ويبعد عنها اي مكروه. واخذن يضعن يوميا قطعة من الزبدة على رأسها، ويصففن شعرها على شكل جداول عريضة، وفرضن عليها الاستحمام يوميا من ماء بئر الكنيسة الكائنة بجوار منزل حقوص، والتي يعتقد بانها مقدسة، وتحظى بمباركة الراهب ميخائيل، راعي الكنيسة. وعدم الجلوس فوق المواد الصلبة، وعدم الخروج من المنزل إلا للكنيسة، وعدم الاختلاط بالناس، وايقاف اي نشاط اجتماعي مثل حضور ولائم الزواج والختان. كما منعها بصورة قاطعة من زيارة القبور.

ما ان اكملت ترحس شهرها التاسع، وفي منتصف ليل اليوم الاخير، احست ترحس بآلام المخاض وهي تمزق احشائها. وعلى الفور قامت السيدتان بوضعها فوق السرير المعد لذلك سلفا، وشرعتا بتلاوة آيات من الكتاب المقدس، ويدعين السيدة مريم العذراء لمساعدة ترحس في الخلاص. وقامت السيدة لؤلؤ بذبح احدى الفراخ التي اعدت لتغذية ترحس لتكون فداء لها.

وما ان انبلج فجر اليوم الثاني من مايو 1951م، حتى وضعت ترحس مولودها البكر، الذي سمي بروخ⁽¹⁾ فيما بعد. ومنذ ذلك اليوم، ولفترة ثلاثة ايام، اخذ الجيران والمعارف يتقاطرون على منزل حقوص أرددوم لتهنئة اهل الدار، والاطمئنان على صحة ترحس ووليدها. كن النسوة يطلقن سبع زخات من الزغاريد وذلك اعلانا واعترافا بان المولود لم يكن سوى ذكرا.

(1) وتعني المبروك.

وجريا على التقاليد المتبعة، كانت السيدتان تجهزان وتقدمان، العصائد كلما اتى الضيوف. كما انهن ومنذ اليوم الاول ولفترة ثمانية ايام كاملة، كن يقمن بتغذية ترحس بما لذ وطاب من الاغذية الدسمة مثل عصائد القمح المخلوط بالشعير، والسوائل الساخنة مثل مرق لحم الماعز، الدجاج، الحليب. وفي بعض الاحيان كن يقدمن بين كل وجبة غذاء واخرى الشاي، او الماء المغلي بالزنجبيل، او الحليب المضروب بكمية من حبوب الحلبة. ليؤدي كل ذلك الى تمكن ترحس من استعادة صحتها بصورة كاملة، وتقوم بإرضاع بروخ بصورة حسنة.

(3)

توجه ادريس واسماعيل الى بيت زميليهما حقوص للسلام والإطمئنان على صحة ترحس وإبنها بروخ. بعيد ذلك، وباعتبار انهم كانوا مهمومين بقضايا البلاد السياسية، انتهزوا فرصة تواجدهم المشترك، ليتطرقوا للاوضاع السياسية الجارية، خاصة وان مبعوث الأمم المتحدة السيد أنزو ماتينزو قد شرع في 31 نوفمبر 1951م، في الاشراف على انتخابات الجمعية الوطنية الارترية (البرلمان)، وحث المواطنين للإشتراك في الانتخابات العامة وانجاحها بهدف تشكيل حكومة ارترية محلية، وفقا لما نص عليه قرار الاتحاد الفيدرالي. فأستهل ادريس كالعادة الحديث ليقول:-

- تغيرت الاوضاع، واصبحت احزابنا السياسية تغير اسمائها وبرامجها كما يغير المرء قميص نومه. فقد بدلت الكتلة الاستقلالية اسمها ليصبح الكتلة الديمقراطية التي بدأت سريعا، بعد صدور قرار الاتحاد الفيدرالي، بالتخلي عن المطالبة بالاستقلال الناجز لارتريا، والمناداة بالاستقلال الذاتي. واصبح حزب الاتحاد "الاندنت" يطالب بإلغاء العلم الارترى الذي صممه الأمم المتحدة، واستبداله بعلم الامبراطورية الاثيوبية، وتبني اللغة الامهرية كلغة رسمية لأهل البلاد. بل تهادى اكثر من ذلك، اذ طالب دون حياء بإلغاء الدستور الارترى الذي صاغته مجموعة من الخبراء التابعين للأمم المتحدة، بل طالب حتى بإلغاء قرار الاتحاد الفيدرالي، وضم إرتريا دون شروط مسبقة الى اثيوبيا.

بالقرب من ادريس كان يجلس الباشاي قرزقهير، وهو شخص كبير في السن، عاصر الاستعمار الايطالي، يستمع بإهتمام لما قاله ادريس. فأخذ زمام مبادرة الحديث وهو ينظر الى ادريس ليقول دون تحرج:-

- ما قلته يا أبنى لا شائبة فيه. وبودي ان اضيف بان قيادات الكتل السياسية التي ذكرتها لا هم لهم سوى المحافظة على اوضاعهم ومصالحهم الخاصة. وانهم يتلونون ويتذبذبون في مواقفهم، وفقا لسير الاوضاع، وليس وفقا للمبادئ والاطروحات السياسية التي يبشرون او ينادون بها ليل نهار.

ثم استرسل:-

- ان رؤية قيادات الكتل والاحزاب السياسية في بلادنا هي رؤية قاصرة لا تختلف عن رؤية ونظرة المستعمر البريطاني فيما يتعلق بفهم شعب ارتريا. فالإنجليز ومعهم قيادات هذه الكتل ينظرون الينا وكأننا شعب امي جاهل، لا يستطيع ان يدير شؤون حياته اليومية. ولذلك اختاروا لنا ان نرتبط فيدراليا بأثيوبيا المتخلفة حتى تتمكن في المستقبل من السيطرة علينا وعلى مواردنا الطبيعية. وقد وصل بهم الامر الى درجة عدم السماح لنا باختيار ممثلينا في الجمعية الوطنية الارترية بصورة ديمقراطية مباشرة، وفرضوا علينا ان نختار زعماءنا الدينيين ورؤساء قبائلنا الذين عانينا منهم كثيرا ليكونوا متحدثين باسمنا، ويقرروا مصيرنا وفقا لاهوائهم وارادتهم. ان قيادات الكتل السياسية هذه هي قيادات متآمرة مع الانجليز لتنفيذ اجندة الامبراطورية الاثيوبية.

تعجب ادريس من قدرة باشاي قرزقهير، على تحليل الاوضاع، واراد الإستفسار منه ومعرفة المزيد، فسأله:-

- وما العلاقة بين اطروحات هذه الكتل السياسية والواقع السياسي لجموع المواطنين؟.

رد قائلا:-

- لاعلاقة بين الاثنين. فأطروحات الكتل السياسية الموجودة في بلادنا، لاتستند على ارادة ورغبة الشعب الارتري، بقدر ما تستند على تحقيق رغبة وطموحات قيادات تلك الكتل. فإذا كان معظم الناس في بلادنا يريدون الاستقلال الوطني، فتلك القيادات تسعى الى طمس هذا الحق، و المساومة عليه في احسن تقدير. ولذلك يكون من الصعب اعتبار تلك الكتل السياسية ممثلة لإرادة ورغبة جموع المواطنين. وهذا هو الاختلاف الاساسي بين اطروحاتهم، والواقع السياسي.

إزداد تعجب ادريس واصدقائه من قدرة هذا الرجل على الحديث، وسرد حقائق التطورات السياسية الجارية في البلاد. و اراد ان يعرف موقف الرجل من نتائج انتخابات الجمعية الوطنية التي جرت أخيرا، وادارها المبعوث الاممي السيد أنزو ماتينزو، فسأل ادريس قائلاً:-

- كيف كانت نتائج انتخابات الجمعية الوطنية (البرلمان)، وهل بالفعل كانت معبرة عن ارادتنا ؟.

إلتفت الرجل يمنا ويسرى، وكأنه كان يخشى وجود احد من مندسى حزب الوحدة "الاندنت"، وعندما اطمئن لذلك قال:-

- لم تكن الانتخابات تمثل الشعب الارتري، بقدر ما كانت تمثل ارادة ورغبة قيادات العمل السياسي. فلو نظرنا للنتائج، نجد بان تعداد من وصفوا بممثلي الشعب هم 86 عضوا. حظى فيها حزب الاتحاد على 32 مقعدا، والكتلة الديمقراطية على 18 مقعدا، والرابطة الاسلامية للمديرية الغربية، الذي يعرف بحزب التقسيم⁽¹⁾، على 15 عضوا، وبعض الاحزاب على ثلاثة اعضاء.

واضاف الرجل قائلاً:-

(1) كانت الرابطة الاسلامية للمديرية الغربية تطالب بتقسيم إرتريا بين السودان وإثيوبيا. ولذلك عرفت فيما بعد بحزب التقسيم.

- أتت معظم تلك الشخصيات التي انتخبت، بصورة غير قانونية. إذ انها وبدعم من الادارة الاستعمارية البريطانية مارست الخداع والتضليل، وقامت بتزوير الانتخابات. بالإضافة الى ذلك فان العديد من تلك الشخصيات هي في حقيقة الامر تمثل التوجه الطائفي القبائلي المتحالف مع الامبراطور هيلي سيلاسي. فكيف يستقيم الامر وان يتحصل حزب الاتحاد "الاندنت" على 32 مقعدا في البرلمان الارتريري، وهو الذي كان ولازال ينادي بضم ارتريا الى اثيوبيا دون شروط مسبقة، ويرفض بصورة قاطعة حق الشعب الارتريري في الاستقلال الوطني، اذا كان هذا الحزب لا يحظى بتأييد ومباركة الانجليز؟.

وكان ادريس واصدقاؤه آذان وافواه مشرعة لهذا الدرس. وبعد تنهيدة قوية واصل باشاي قرزقهير حديثه:-

- ان تاريخ حزب الاتحاد "الاندنت" هو تاريخ شاذ ولا يتماشى او ينسجم مع رغبة الشعب الارتريري في التسامح، والتراضي، والعيش المشترك. فقد تمكن هذا الحزب، ومن خلال دعم السلطات البريطانية له، من التأثير على الحياة السياسية العامة في البلاد. ولم يكن هذا التأثير نابعا من احترام وتأييد الشعب الارتريري لاطروحاته السياسية، بقدر ما كان نابعا من خوف الناس بان لا يبطش بهم، كما بطش بغيرهم من المواطنين. فإذا كنتم تذكرون، فقد لعب هذا الحزب دورا سيئا بل قدرا في العام 1948م في تكوين وتشكيل عصابات "الشففتا" (1) الارهابية التي قامت بإغتيال العديد من الوطنيين من مؤيدي الاستقلال. كما كان هذا الحزب ومن خلال تلك العصابات، وراء اغتيال العديد من انصار الاستقلال

(1) عصابات "الشففتا" هو وصف كان يطلق على المجموعات التي كانت تمارس الارهاب، من قتل وتهديد بحق الوطنيين الارتريريين، من منطلق سياسي يدفع باتجاه مماثلة الرغبات الاثيوبية في إلحاق ارتريا باثيوبيا، في تلك الفترة.

الارتري في العام 1950م في العديد من المدن الارترية مثل اسمرا، مصوع، دقي محاري، عدي وقري وغيرها من المدن والبلدات الارترية. بالإضافة الى ذلك فقد كان هذا الحزب من وراء الفتنة الطائفية التي أقتتل فيها المسيحيون والمسلمون في أسمرا في 21 فبراير 1950م والتي راح ضحيتها أكثر من خمسين مواطنا.

تدخل إسماعيل ليسأل:-

- وماذا عن الكتلة التي غيرت اسمها لتعرف بالكتلة الديمقراطية؟.

رد باشاي قرزقهيير قائلاً:-

- لا شك بان الخلفية السياسية لهذه الكتلة كانت خلفية وطنية، طالبت وبإصرار على حق الشعب الارتري في الاستقلال الوطني، ومن اجل ذلك ميزت نفسها بإسم الكتلة الاستقلالية. إلا انها، وفي هذه الآونة التي نعيشها، قد انحرفت عن المبادئ العامة التي اعلنتها. وأخذ العديد من قياداتها يرضون بالاتحاد الفيدرالي، وذلك تحت حجة اذا تعذر الحصول على الاستقلال، فان من الافضل قبول الاتحاد الفيدرالي مع اثيوبيا، وهذا ما سوف يمكن من المحافظة على خصوصية وتميز ارتريا.

ثم أضاف الرجل ألمسن:-

- ان موقف الكتلة الديمقراطية الذي بدأ يميل لتأييد الاتحاد الفيدرالي مع اثيوبيا هو في الواقع عين الانتهازية السياسية. وان القول بالمحافظة على خصوصية وتميز ارتريا، ما هو إلا موقف تبريري لتخاذه قيادات هذه الكتلة. فالمحافظة على خصوصية ارتريا وتميزها، لا يمكن ان يتحقق بربط ارتريا فيدراليا باثيوبيا، بقدر ما يتحقق بتأكيد الاستقلال الوطني، والتحرر الاجتماعي لإرتريا وشعبها. وكان الاجدر بقيادة هذه الكتلة التمسك بالمبادئ التي آمن بها الاعضاء، وتعرضوا من اجلها لكل

انواع المضايقات والانتهاكات، بما فيه التصفية الجسدية والمعنوية. بدلا من الارتقاء في احضان الانجليز والتمسح بأحذيتهم.

ما ان انهى الرجل حديثه، حتى التفت ادريس نحو صديقيه مترجما نظراته الى اقوال تروي خطأهم في الرضى بالقرار الفيدرالي نتيجة لتعذر الاستقلال الوطني. وان عليهم مراجعة ذلك بناء على ما سمعوه من الباشاي قرزقهير حول المواقف الراهنة، وطبيعة وماهية الحزبين الكبيرين الوحدة والكتلة الديمقراطية.

وماهي لحظات حتى ادرك حقوص بان الرجل قد تحدث بإسهاب عن الحزبين الكبيرين، دون ان يتحدث عن مجموعة او حزب التقسيم. فأراد إستنتاج الرجل ومعرفة تقديره في ذلك فسأل:-

- وماذا عن حزب التقسيم.؟

تناول الرجل قدح أسوا الذي سبق وان قدمه له حقوص، واخذ منه رشفة كبيرة تدل على حبه للسوا، وهو يقول:-

- كان الانقساميون واضحين تماما مع انفسهم ومع غيرهم منذ البداية، فلم يتماشو مع الرغبة الارترية العامة، ولزالوا يرفضون حتى الاعتراف بوجود شعب يسمى الشعب الارتري، وكانوا يطالبون بتقسيم ارتريا بين السودان وإثيوبيا، واذا تعذر ذلك، كانوا يرون بأن تعطى المديرية الغربية لارتريا حقها في الانفصال عن باقي إرتريا وتشكيل كيان مستقل خاص بها.

واضاف:-

- إنني أؤمن بان اعضاء حزب التقسيم ما هم سوى فئة مارقة على الشعب الارتري. فهم من عتاة إقطاعيي منطقة السهول الغربية الارترية. وكانوا ولزالوا يمارسون الرق، وكل انواع وأساليب العبودية ضد مواطنيهم من أبناء التجري. ولم يرهبوا إلا بفضل نضالات الرابطة الاسلامية الارترية،

وبصفة خاصة نضال الشيخ إبراهيم سلطان علي الذي وقف لهم بالمرصاد وفضحهم، وكشف مناوراتهم، وارتباطاتهم السياسية المشبوهة بالمستعمر الانجليزي. ولذلك كان من الطبيعي ان يقف هؤلاء ضد المصلحة الوطنية العامة للشعب الارترى. ويكونوا اداة طيعة بيد الانجليز يحركونهم كما يريدون.

تدخل إدريس وهو يلتفت الى زميليه ليقول:-

- اعتقد اننا نوافقك الرأي خاصة فيما يتعلق بتقييمك للحزبين الكبيرين، وايضا فيما يتعلق بالمجموعة الانقسامية. والسؤال الذي اود طرحه، هو كيف سيتمكن البرلمان الارترى من ممارسة عمله والاهتمام بمطالب شعبنا، وهو مكون في تركيبته من الخلفية السياسية التي ذكرتها ؟.

رد باشاي قرزقهيير قائلاً:-

- انه سؤال مهم، وأشكرك عليه. فيما يتعلق بالرد الذي تنتظره مني، فإنني يمكن ان اقول بان من الصعب جدا الحكم على البرلمان في الوقت الراهن، لأن هذا سيكون سابقا لاوانه. إلا انني أستطيع ان اقول بان حزب الوحدة سوف ينفرد بالسلطة، وسوف يحقق رغبته. ومن اجل ذلك فقد اعلن أثناء نهاية الانتخابات بانه قد تحالف مع حزب التقسيم، وانه قد اتفق معه على تقاسم السلطة، وتنسيق المواقف داخل البرلمان. وقد أسفر هذا التحالف الذي أسميه بالتحالف الغير مقدس، كما رأينا على تمكن السيد تدلا بايرو، وهو من قادة حزب الاتحاد، من رئاسة البرلمان، وتمكن علي موسى رادآي، وهو كما تعلمون احد القادة النشطاء لحزب التقسيم، من تبوء منصب نائب رئيس البرلمان. وهذا يدل على ان الطرفين يسعيان الى فرض ارادتهما ليتسنى لهم بعد ذلك، تحقيق أجندة إثيوبيا فيما يتعلق بإلحاق إرتريا بها.

واضاف باشاي قرزقهير:-

- إن هذا لا يعني بان حزب الوحدة لا يتعارض مع حزب التقسيم. فهناك قضايا كثيرة محل خلاف بينهما، مثل العلاقة بين البرلمان الارتري، والبرلمان الفيدرالي المعين من قبل الامبراطور هيلي سيلاسي، والذي تهيمن عليه اثيوبيا، ومسألة اي من العلمين الارتري والاثيوبي يرفع في الدوائر الحكومية، وقضية اللغة الرسمية للبلاد. ففي الوقت الذي يطالب فيه حزب الوحدة بأن تكون السيادة للبرلمان الاثيوبي، وان يكون العلم الاثيوبي هو العلم الرسمي للبلاد، وان تكون اللغة الامهرية هي اللغة الرسمية في عموم الاتحاد الفيدرالي، وغيرهما من القضايا، فإن حزب التقسيم يرفض كل ذلك. وعلى الرغم من الاختلاف بين الحزبين، فإنني ارى بانهما لا يختلفان على تأييد ومساندة الاطروحات الاثيوبية، ويسعيان الى التقيد بهما كل حسب طريقته واسلوبه.

حان وقت الغداء، واحس المجتمعون بان الواجب يدعوهم توديع حقوص وزوجته. وودع ادريس واصدقاءه الباشاي قرزقهير، معبرين عن شكرهما وتقديرهما له، واتفقوا معه للقاء في مناسبة اخرى ومواصلة مناقشة المستجدات السياسية التي تطرأ في البلاد. وتحرك كل منهم الى شأنه.

(4)

تمكنت الجمعية الوطنية الارترية (البرلمان) التي سيطر عليها الموالون لاثيوبيا من المصادقة على الدستور الارتري، الذي صاغه مبعوث الأمم المتحدة السيد أنزو ماتينزو. كما تمكنت وبدعم من السلطات البريطانية، من تشكيل الحكومة الارترية، التي رأسها السيد تدلا بايرو، وتم انتخاب السيد علي موسى رادآي رئيسا للبرلمان. ونصبت الداسات ⁽¹⁾ خاصة في العاصمة أسمرأ، ونحرت الذبائح، وارتدى المؤيدون ملابسهم التقليدية، ووزعت الاكواب المليئة بالسوا التقليدي، وزجاجات البيرة والعرقى ⁽²⁾، تعبيرا عن الفرحة بتجاوز عقبة تشكيل اول حكومة ارترية محلية. وإرتسمت امارات الحزن على معظم الرافضين لربط ارتريا فيدراليا باثيوبيا. لم يمض طويلا من الوقت على تشكيل الحكومة الارترية، حتى ظهر التدخل الاثيوبي وبصورة سافرة على الشؤون السياسية الارترية، ومحاولة النيل من الاتحاد الفيدرالي، بهدف إفراغه من محتواه. إذ وما ان صادق الامبراطور هيلي سيلاسي على الدستور الارتري، تماشيا مع مايفرضه قرار الاتحاد الفيدرالي، حتى سارع الى اصدار الامر رقم 6 لعام 1952م، الذي أمر بموجبه تطبيق الدستور والقوانين والنظم الاثيوبية على ارتريا. بالإضافة الى اصدار الأمر رقم 130 لعام 1952م الذي يأمر فيه دون موارد، اعطاء حق السيادة القضائية، للقضاء الاثيوبي دون اعطاء اي اعتبار قضائي للقضاء الارتري.

أما ادريس وصديقيه حقوص واسماعيل، وان كانوا يقبلون بقرار الاتحاد الفيدرالي ظنا منهم بان ذلك سوف يمكن شعب ارتريا من ممارسة حقه المشروع في تقرير حياته اليومية، خاصة وان قرار الاتحاد الفيدرالي قد تم اقراره من قبل الأمم

⁽¹⁾ الداسات هو جمع داس، وهو عبارة عن مكان يجتمع فيه الناس للتعبير عن فرحهم سواء في أفراح الزواج أو المناسبات الاجتماعية العامة. كما انه يستخدم ايضا في مناسبات تقديم العزاء.

⁽²⁾ العرقى هو شراب تقليدي نسبة الكحول فيه اعلى مما هو في شراب السوا، يستخدم في المرتفعات الارترية في مناسبات مختلفة.

المتحدة، وهي الضامنة الحقيقية لتطبيقه وحمايته من اي خروقات قد تلجأ اليها اثيوبيا، فإنهم كانوا غير قادرين على تفسير الصمت الدولي، خاصة صمت المبعوث الدولي، والسلطات الاستعمارية البريطانية عن الامر الامبراطوري القاضي بتجاهل الدستور الارتري، وتهميش القضاء الارتري. وبدأت الظنون تأخذ بهم منحى آخر، الا وهو ان اثيوبيا سوف لن تكون جادة في تطبيق التزاماتها فيما يتعلق بتطبيق قرار الاتحاد الفيدرالي بين ارتريا واثيوبيا. وتأكدوا من صحة وصدق ما طرحه لهم الباشاي قرزقهير.

وذاذ مساء، وبينما هم جلوسا كعادتهم، في دكان ادريس يناقشون الاوضاع والمستجدات، خاصة الامر الامبراطوري الذي اضحى على لسان كل ارتري، قدم اليهم السيد محمد نوراي، وهو شاب لم يبلغ الاربعين من عمره، يتحلى بالامانة والصدق والخلق القويم، تم انتخابه للبرلمان من قبل احدى الدوائر الانتخابية في منطقتهم. وبعد ان تبادلوا معه التحايا والاستفسار عن الصحة والاهل. قرر ادريس استدرجه للحديث حول آخر المستجدات فسأله:-

- كيف تفسر الأمر الذي اصدره الامبراطور هيلي سيلاسي المتعلق بتطبيق القوانين الاثيوبية في ارتريا، والذي اصبح حديث كافة الصحف الارترية هذه الايام؟.

لم يتردد السيد محمد نوراي في الاجابة فقال:-

- علينا ان نؤكد قبل كل شئ حقيقة ماثلة امامنا. وهي ان القوانين الاثيوبية لا تتماشى والقوانين الارترية. اذ انها قوانين غير دستورية، ومستتبطة من ارادة الامبراطور هيلي سيلاسي. بينما القوانين الارترية هي قوانين مستتدة على الدستور الذي صاغته الأمم المتحدة، وهي في المحصلة النهائية قوانين عصرية ذات محتوى ديمقراطي، تراعي مصالح ورغبات شعب ارتريا.

واضاف:-

- تمت صياغة الدستور الارتري، ومهام القضاء، وصلاحيات المحاكم الارترية، وفقا لقرار الاتحاد الفيدرالي، الذي هو قرار يلزم تنفيذه من قبل الاطراف الموقعة عليه. ولا يحق قانونيا لأي طرف سواء كان اثيوبيا او ارتريا تعديله، إلا بعد الحصول على الموافقة المسبقة من الأمم المتحدة. وانني ادرك تماما، بان من الطبيعي ان لا يرتاح الامبراطور لوجود دستور من هذا النوع في ارتريا. لان ذلك، وبطبيعة الحال، يتعارض مع طبيعة تركيبة نظام حكمه السياسي. فالنظام الاثيوبي لا يتمتع باي تأييد او سند شعبي، وهو نظام اقطاعي الحاكم والناهي فيه هو جلالة الامبراطور هيلي سيلاسي الاول، الذي من حقه المطلق فعل ما يريد ومتى ما شاء. بينما نظام الحكم في ارتريا، وعلى الرغم من ملاحظتنا وتحفظاتنا عليه، فهو نظام برلماني ديمقراطي تم انتخابه مباشرة من قبل شعب ارتريا.

تدخل ادريس ليقول:-

- لقد بدأ التملل يأخذ طريقه الآن في بلادنا. وما التظاهرة التي سمعنا ان العمال قاموا بها في اسمر قبل ثلاثة ايام، سوى تعبيراً صادقاً على رفض محاولات الامبراطور هيلي سيلاسي المساس بالدستور الارتري. بالإضافة الى ذلك فان مطالب العمال في تظاهرتهم بطرد المماليين للسياسات الاثيوبية في البرلمان، والمطالبة بتحسين مستوى معيشة الشعب، وزيادة اجور العمال لم يكن إلا رفضاً صريحاً لحكومتنا الوطنية.

وما ان انهي ادريس حديثه، حتى بدأ حقوص بالقول:-

- لقد بان الحق من الباطل. فمعظم الذين كانوا يؤيدون اثيوبيا تحت حجج وذرائع مختلفة باتوا يعبرون عن رفضهم الصريح للتدخل الاثيوبي في الشؤون الداخلية لارتريا.

واضاف:-

- حضرت مع غيري الاجتماع الحاشد الذي دعا اليه أندلكاتشو ماساي، وهو من القيادات الاثيوبية المعروفة، في مقر كنيسة السيدة العذراء في اسمرأ في الثاني من نوفمبر 1952م. وما ان قال المسؤول الاثيوبي بأننا أبناء بلد واحد هي اثيوبيا، ونعيش تحت سقف تاج واحد وملك واحد، حتى تعالت صيحات الاستنكار من الجموع الحاضرة. وهذا ان دل فإنما يدل على تنامي الرفض الشعبي للتدخل الاثيوبي في الحياة السياسية الارترية العامة.

تدخل ادريس بدوره ليقول:-

- اعتقد بان الحكومة الاثيوبية تريد وبصورة تدريجية الإستيلاء على قدراتنا الاقتصادية. وما محاولة سيطرتها على المواد الاستهلاكية المصنعة في ارتريا مثل الملح، الكيروسين والمواد الكحولية، ورفع الضرائب عن السلع الارترية المصدرة الى اثيوبيا، وفرضها على السلع القادمة الى ارتريا من اثيوبيا مثل الحبوب الغذائية، ما هو سوى دليل على ما اقوله. بالإضافة الى ذلك، فإنني اعتقد بان الحكومة الاثيوبية، ومن خلال ممارساتها تلك، تسعى الى حرمان الحكومة الارترية من الإيرادات الجمركية، حتى تضطر للإمتثال والانصياع للإرادة الاثيوبية.

تحمس السيد محمد نوراي، خاصة وان التدخل الاثيوبي في الشؤون الارترية بدأ يأخذ ابعادا سافرة، واحس بان من الواجب طرح الامور كما هي. وعلى الكل

وبصفة خاصة من هم اعضاء في الجمعية الوطنية الارترية تعرية وكشف تلك التدخلات، فقال:-

- لم يختصر تدخل الحكومة الاثيوبية على رفع او فرض الضرائب على المواد الاستهلاكية المصنعة في ارتريا او القادمة من اثيوبيا، بل تعدى ذلك بكثير. فأثيوبيا الامبراطورية تريد دون ادنى شك حرمان الحكومة الارترية من السيطرة والاستفادة من عائدات سكة الحديد، المطار، التلفون والتلغراف. وقد سبق وان استولت على المنازل والفيلات الفاخرة التي آلت ملكيتها للحكومة الارترية.

واضاف:-

- لقد ناقشنا كل هذه القضايا في اجتماعات جمعيتنا الوطنية، وقد تصدى لها العديد من الاعضاء. وقد تمكنا من الإتفاق على تكوين لجنة من اعضاء الجمعية والحكومة لبحث مصير استحقاقات ارتريا السنوية من الجمارك والبالغة نحو اربعة ملايين وخمسمائة الف دولار اثيوبي. فإذا تجاوزت معنا الحكومة الاثيوبية فإننا سوف نتمكن لا محالة من انقاذ الحكومة الارترية من الافلاس. اما اذا لم تتجاوب فان هذه سوف يعني، بأن اثيوبيا تريد افقار الاقتصاد الارترى عمدا.

كان ادريس يواظب على الإطلاع على بعض الصحف اليومية التي تتناول القضايا المتعلقة بالبلاد. وما ان انهى السيد محمد نوراي حديثه حتى قال:-

- اطلعت قبل يومين في صحيفة "اليوم" التي صدرت في الاسبوع الماضي، بان ليس من حق اثيوبيا او حكامها المساس بالدستور الارترى، والقوانين والمحاكم في ارتريا. فإذا كان الامبراطور يريد حذف او تعديل اي مادة من مواد الدستور الارترى الذي تمت صياغته من قبل الأمم المتحدة، والذي هو جزء مكمل لقرار الاتحاد الفيدرالي، عليه اولا

وقبل كل شيء استشارة المجلس الفيدرالي المشترك المكون بالتساوي من قبل ارتريا واثيوبيا...

وقبل ان يكمل حديثه، تدخل السيد محمد نوراى ليقول:-

- لم تنشر الصحيفة التي ذكرتها سوى الحقيقة. واود ان اضيف بان لا الامبراطور، ولا حتى الحكومة الارترية من حقهما المساس، كما قلت في بداية حديثي، سواء بالدستور الارتري، او صلاحية الحكومة الارترية، او مهام المحاكم في ارتريا. وان تلك الحقوق ترجع للأمم المتحدة وحدها.

واضاف:-

- ان العديد من الصحف الارترية، ووفقا للحق الديمقراطي الممنوح لها، أخذت تنتقد وبصورة واضحة الخروقات التي يقوم بها الامبراطور وحكومته، سواء تلك التي تتعلق بالأمرين الصادرين، او عائدات الضرائب الارترية، او فيما يتعلق بالتباطؤ المقصود في تكوين المجلس الفيدرالي. لم يفهم اسماعيل ما قيل عن تباطؤ تكوين المجلس الفيدرالي. وبعد ان كان صامتا مستمعا طيلة الوقت، اراد الإستفسار فسأل:-

- لم افهم ماقلته بخصوص المجلس الفيدرالي ؟.

رد السيد محمد نوراى قائلاً:-

- ان احدى المواد المنصوصة في صلب قرار الاتحاد الفيدرالي تتحدث او تنص على تشكيل مجلس فيدرالي، يكون مرجعا لأي خلاف ينشب عند تطبيق الاتحاد، وتكون العضوية فيه متساوية بين ارتريا واثيوبيا. ففي الوقت الذي تمكنت فيه الجمعية الوطنية الارترية من انتخاب اعضائها الخمسة لعضوية المجلس الفيدرالي، فان الحكومة الاثيوبية تتباطأ بصورة متعمدة من إختيار ممثليها في المجلس المذكور. وهذا يعني انها لا تريد تكوين او تشكيل المجلس الفيدرالي. وقد ناقشنا التباطؤ الاثيوبي ايضا

في اجتماع جمعيتنا الوطنية. كما تم انتقاد اثيوبيا على ذلك بصورة حادة واضحة.

واضاف قائلاً:-

- ان الجانب الاثيوبي في تقديري لا يريد بصورة او اخرى تكوين المؤسسات التي نص عليها قرار الاتحاد الفيدرالي. فهو ايضا يتلكأ عن عمد حتى لا يختار من يراهم مؤهلين لتبوء عضوية المحكمة الفيدرالية العليا. بينما الجانب الارترى قد تمكن عبر جمعيته الوطنية من اختيار قضاة ارتريا في المحكمة المذكورة.

ما ان انتهى السيد محمد نوراي حديثه حتى اخرج ساعته من جيب سترته، ليلاحظ بان الساعة بدأت تشير للخامسة مابعد الظهر. فأعذر لمحدثه على الفور، طالبا منهم السماح له بالذهاب، نتيجة لإرتباطه بموعد مسبق. وتصافح الحاضرون واتفقوا على ان يلتقوا ثانية.

في الفترة ما بين 1952-1953 كانت الصحافة الارترية اليومية منها والاسبوعية تغطي كافة مناقشات واجتماعات الجمعية الوطنية الارترية. ومع مرور الايام، بدأت تلك الصحف في توجيه الانتقادات الحادة، لتباطؤ الحكومة الاثيوبية ومطاولاتها في تنفيذ تعهداتها فيما يتعلق بإستحقاقات قرار الاتحاد الفيدرالي. وكان الرد على ذلك قيام المخابرات الاثيوبية بإعطاء الضوء الاخضر لعصابات ألقفتا، بالبدء بإستخدام العنف والارهاب ضد العديد من الصحفيين، ومن تصنفهم بأعداء اثيوبيا من البرلمانيين، والشخصيات السياسية الارترية العامة. وقد كان السيد ولدآب ولدماريام وللمرة السابعة، احدى الشخصيات المستهدفة. اذ اطلق عليه في يناير 1953م مأجوران من المخابرات الاثيوبية النار، ليصيباه بجروح بليغة، لم يشف منها إلا بعد علاج مكثف استمر لعدة أشهر في احدى مستشفيات العاصمة الارترية اسمرا.

(5)

طلب حقوص أرعدوم من صديقيه ادريس واسماعيل تناول طعام الغداء معه. وكما يفعل عادة سكان مصوع في مثل هذه المناسبات، اجتمع الثلاث في منزل حقوص. وقد لاحظ ادريس وجود ضيف في المنزل، سرعان ماتعرف عليه، وعلم منه بانه يكنى بالإستاذ نافع.

استغرب ادريس، ولم يكن يدري بأهمية ان يكنى الشخص بدلا من استخدام اسمه الحقيقي، ومن باب الفضول سأل قائلاً:-

- لماذا لا تستخدم إسمك الحقيقي، ما المغزى من ان تكنى بإسم الاستاذ نافع.

رد الاستاذ نافع قائلاً:-

- اسمي الحقيقي هو علي محمود. اما الأسباب التي كنيت بها فيعود، وهذا لا يخفى عليك، للأسباب السياسية التي تمر بنا، والملاحظات التي يقوم بها البوليس بحق العديد من الاشخاص وأنا واحد منهم.

ازداد إستغراب ادريس وهو يقول:-

- ولماذا يلاحقك البوليس، فأنت لا تبدو شخصا غير طبيعي؟.

بدرت من الاستاذ نافع ابتسامة ذا مغزى ليقول بعدها:-

- لم تفهم ماذا اقصد. فأنا يمكن ان الاحق بسبب انتمائي لإتحاد العمال الارترى الذي يتزعمه السيد ولدآب ولدماريام. ومن اجل تضليل رجال الحكومة، وارجاء القبض علي، طلبت مني قيادة الاتحاد ان لا استخدم اسمي الحقيقي. فأخترت ان اسمي نفسي، بإسم الاستاذ نافع.

استحسن ادريس وزميلييه هذا الاسلوب الجديد في تضليل رجال البوليس. وباعتبار انهم لا يعلمون كثيرا عن اتحاد العمال، وأهمية ان يكون للعمال اتحاد خاص بهم. بادر إسماعيل قائلاً:-

- ما الأهمية من وجود اتحاد خاص بالعمال، وماذا يعنى ذلك ؟
ودون تردد احس الاستاذ نافع بضرورة شرح اهمية الاتحاد وماذا يعنى للعمال.
واعتبر ذلك جزء من العمل التعبوي الذي يجب ان يقوم به. وعلى الفور قال:-
- ان اتحاد العمال هو اطار عام يهتم بحقوق ومطالب العمال الارتبيين.
وذلك من اجل حمايتهم من حالة الاستغلال الذي يمكن ان يمارس
بحقهم من قبل أرباب العمل، وتوعيتهم، وتحسين معيشتهم وادائهم
اليومي.

بدأ ادريس يهتم بما قيل، واراد معرفة المزيد فقال:-

- ولماذا يهتم الإتحاد بالعمال فقط دون الشرائح الارتبية الاخرى مثل
الفلاحين، الرعاة، واصحاب الدكاكين والمقاهي وغيرهم. فهؤلاء لا
يختلفون في شئ عن العمال ؟.

احس الاستاذ نافع بنوع من الارتباك. فهو لم يكن يتوقع ان يطرح عليه مثل هذا
السؤال. إلا انه استدرك ليقول:-

- لاشك بان من ذكرتهم لا يختلفون عن العمال. الا ان هناك اشكالية في
جمعهم، فهم ليسوا مثل العمال الذين يتواجدون في مكان عمل واحد،
ولهم مطالب واحدة. كما ان الشرائح التي ذكرتها لا تمارس مثل العمال
مهنة واحدة. لكن كل هذا لا يعنى بان الاتحاد لا يجب ان يهتم بهم.
فهناك محاولات جادة تبذل للتضامن بين كل شغيلة البلاد، خاصة وان
بلادنا تمر بوضع سياسي تتطلب تصافر كل الناس.

تدخل حقوص الذي احس هو الآخر بأهمية الموضوع المثار قائلاً:-

- لا اخفي عليك بأننا لم نسمع قبل الآن عن اتحاد العمال الارتبيين.
وبالتالي لا نعرف عن هذا الاتحاد اي شيء. ولم يحدث ان تطرقنا في
نقاشاتنا السابقة لمثل هكذا مسألة.

واضاف قائلاً:-

- من هنا، واذا لم يكن لك اي اعتراض، ارجو ان توضح لنا اهداف

الاتحاد، ومتى تكوّن وشروط العضوية او الانتساب فيه.

لم يبد الاستاذ نافع اي اعتراض، بل رحب بطلب حقوص وهو يقول:-

- من اهم واجباتنا نحن الاعضاء في اتحاد عمال ارتريا، ان نوضح للناس

اهدافنا ومنطلقاتنا السياسية. وانطلاقا من هذا فإنني على استعداد للرد

على الطلب الذي وجه الي.

واضاف قائلاً:-

- بعد سلسلة الإضرابات التي قام بها العمال في مختلف المدن الارترية،

خاصة اضراب اتحاد عمال سكة الحديد، قام العديد من زعماء وقيادات

العمال من امثال السيد برهي عندي ميكائيل من مصنع مرنقي للزجاج،

والسيد سقاي كحساي من مصنع الاحذية، والسيد كفلا براخي من سكة

الحديد وآخرون بالتحرك في العام 1951م لتكوين اتحاد عمال ارتريا.

وقد تمكنوا من تكوين اول اتحاد عمالي في ارتريا في نهاية نوفمبر من

العام 1951م. وقد ضم الاتحاد العديد من الكونفيدراليات لا تقل عن

عشرة من ابرزها، كونفدرالية السكة حديد، مصنع ميلوتي للمشروبات

الكحولية، ومصانع الاحذية، ومصنع الزجاج، والعديد من عمال

الكراجات. وفي بداية يناير من عام 1952م تمكن الاتحاد من الحصول

على اعتراف السلطات البريطانية، مما اكسبه ذلك الصفة الاعتبارية

القانونية.

تدخل ادريس قائلاً:-

- وماهي اهداف هذا الاتحاد؟.

رد الاستاذ نافع قائلاً:-

- تمثلت ابرز اهداف الاتحاد المعلنة على تحسين ظروف حياة العمال المهنية، الحصول على التعويضات العادلة في حالة الضرر، الاستماع لشكاوي العمال وايجاد الحلول لها وغيرها من الاهداف المتعلقة بحقوق العمال.

التفت إسماعيل نحو الاستاذ نافع ليقول:-

- سمعت من معارفي بان السيد ولدآب ولدمازيام كان وراء تأسيس اتحاد العمال. فما صحة هذا الكلام؟.

اخذ الاستاذ نافع نفسا عميقا، ليقول بعده:-

- الحقيقة هو ان السيد ولدآب ولدمازيام لم يكن وراء تأسيس الاتحاد. الا ان دوره في تقوية الاتحاد لم يكن سهلا. فبعد ان تأسس الاتحاد، اتصلت به بعض الشخصيات العمالية طالبة منه المساعدة في صياغة دستور عام للإتحاد. ولم يخب ظن تلك الشخصيات، اذ قام السيد ولدآب ولدمازيام بصياغة الدستور وعرضه على قيادة الاتحاد.

تدخل ادريس ليقول:-

- وماذا كان اهم شئ صاغه السيد ولدآب ولدمازيام في ذلك الدستور؟.

اجاب السيد نافع قائلا:-

- تضمن دستور اتحاد العمال الارتري فقرات متعددة يمكن ذكر ابرزها. وهو ان يكون الاتحاد اطارا جامعا لكل الارتريين دون تمييز في الجنس، الدين، الاقليم والقبيلة. وان يكون مستقلا من اي جهة سياسية او طائفية. بالإضافة الى ذلك فقد نص الدستور ايضا على العمل من اجل تحقيق وحدة ومساواة العمال، وايجاد الحلول لمشاكلهم بالطرق السلمية، وتحسين مستوى معيشتهم، ورفع وعيهم السياسي وتعليمهم الاكاديمي.

واضاف:-

- لقد مكن هذا من خلق حالة سياسية متطورة في الاتحاد، يمكن ان يبعد العمال من حالات التشرذم الطائفي، الاقليمي والقبلي. كما ان وجود دستور يسترشد به الاتحاد مكن العمال من عقد مؤتمر عام لهم في السادس عشر من نوفمبر من عام 1952م انتخبوا فيه السيد ولدآب ولدمازيام رئيسا للاتحاد، والسيد سراج عبده نائبا للرئيس، والسيد تولدي تدلا سكرتيرا للاتحاد، والكافلييري عبدالله قنافر امينا لسجل الاتحاد، والسادة كندي إلفي، وابراهيم محمد دين، وسقاي كحساي مستشارين للاتحاد. وقد حضر احتفال العمال بانتخاب قيادة جديدة لهم ممثلي قنصليات أمريكا، بريطانيا، فرنسا وإيطاليا، والعديد من الشخصيات السياسية الارترية، وجمع غفير من المواطنين.

ادرك الرجلان بان الوقت المخصص للنوم قد اقترب، فاتفقا على مواصلة الحديث في لقاء آخر.

(6)

مع اقتراب العام 1952 من نهايته ازداد التدخل الاثيوبي في الشؤون الداخلية الارترية. مما ادى الى تدهور الوضع الاقتصادي في ارتريا، بصورة لم يسبق لها مثيل. وأثر على المستوى المعيشي لجموع الشعب الارترية.

و ذات مساء عاد ادريس الي بيته مبكرا، وهو يعاني من حالة احباط شديدة. وما ان شاهدته زوجته السيدة فاطمة حتى بادرتة:-

- ماذا بك ؟.

رد ادريس قائلا:-

- ان الاوضاع الاقتصادية في بلادنا تزداد صعوبة إثر كل يوم. فمعظم

الناس غير قادرين على توفير احتياجاتهم اليومية. واصبحت جرائم

السطو على المحلات التجارية ظاهرة يومية.

تدخلت السيدة فاطمة قائلة:-

- ومع ذلك فإننا لانزال احياء.

تعجب ادريس وهو يقول دون اكرات:-

- يمكن ان نبقى احياء، فالأعمار بيد الله. إلا اننا سوف نعاني من حالة

مجاعة محققة اذا استمر الوضع على هذا الحال.

وماهي لحظات حتى سمع ادريس طرقا في الباب، قام على اثره لإستبيان الامر.

فوجد بان الطارق لم يكن سوى السيد محمد نوراي عضو البرلمان الارترية، وهو

في حالة توتر ملحوظ. فطلب منه الدخول. وما ان تناول كوبا من الماء حتى بدأ

في سرد وقائع حيرت ادريس بقوله:-

- عقد البرلمان جلسة قصيرة قبل يومين، تناول فيها الاوضاع الاقتصادية

المتردية في البلاد. وللأسف الشديد لم اتمكن من الاشتراك في تلك

الجلسة، وذلك نتيجة لعدم ابلاغي بها مسبقا. لكن علمت من احد

اصدقائي البرلمانين الذي اشترك فيها، بان اثيوبيا اصدرت الامر بإلغاء التراخيص التجارية التي منحتها الحكومة الارترية للشركات الاجنبية المملوكة لبعض الايطاليين، والانجليز، والبنيان (1) واليمنيين، التي ابدت استعدادها المسبق لإستثمار اموالها في ارتريا. وهذا يعني بان اثيوبيا لا تريد استغلال الموارد الطبيعية الارترية، او تطوير المشاريع الزراعية حتى الصغيرة منها.

ازداد احباط ادريس، واكتفى بهز رأسه علامة على الرفض دون ان يتفوه بأى كلمة.

بينما واصل السيد محمد نوراى كلامه:-

- لم يكتف النظام الاثيوبي بإلغاء كافة التراخيص التجارية التي منحتها الحكومة الارترية للشركات الاجنبية، بل زاد في ذلك الامر بتوجه البواخر الى ميناء عصب لتفريغ و شحن البضائع الاثيوبية الواردة لها والصادرة منها. وهذا يعني في تقديري بانه يريد شل ميناء مصوع، تمهيدا للتأثير على الشركات الاجنبية والضغط عليها لتغيير مكاتبها الرئيسية الى اديس ابابا، بدلا من التمرکز في مدينة مصوع. وهذا سوف يساعد بالتأکید على سوء الحالة الاقتصادية المتردية في ارتريا. ويؤدي الى اجبار اهلها، خاصة الزعماء السياسيين في النهاية، الى عدم معارضة مطالب اثيوبيا في ضم ارتريا اليها، والغاء الاتحاد الفيدرالي القائم بين اثيوبيا وارتريا.

لم يتحمل ادريس وقع ما سمعه، فتدخل كاسرا بذلك حالة الاحباط التي اعترته ليسأل:-

(1) الهنود

- وماذا كان موقف البرلمان عندما سمع بالقرار الاثيوبي القاضي بسحب التراخيص، وسوء الحالة الاقتصادية المتردية في بلادنا؟.

رد السيد محمد نوراي قائلاً:-

- لم يصمت اعضاء البرلمان، فقد وقف العديد منهم معترضين على الاوامر التي اصدرها نظام هيلي سيلاسي، فيما يتعلق بسحب التراخيص، اوتلك التي تتسبب بتبردي الوضع الاقتصادي في البلاد. والغريب في الامر لم يكن الاعتراض صادرا فقط من قبل اعضاء الكتلة الديمقراطية وغيرهم من الوطنيين من امثال السيد ولدآب ولدماريام، والسيد عمر اكينو، والدجزماتش قبرزقي قالقول، بل ان الاعتراض جاء ايضا من قبل اناس معروفين بانتمائهم لحزب الوحدة "الاندنت" مثل القس هبتو ماريام فقرو والسيد امبايي قبري املاخ الذين لم يتوقع منهم ان ينتقدوا الاجراءات او الاوامر الاثيوبية.

تدخل ادريس ليقول:-

- وماهو تفسيرك لما قاموا به من هم محسوبون على حزب الوحدة "الاندنت" من انتقاد للاوامر الاثيوبية؟.

رد السيد محمد نوراي قائلاً:-

- صحيح بان اعضاء حزب الوحدة "الاندنت" خاصة من هم معنا في البرلمان، كانوا ينظرون الى اثيوبيا وكأنها الجهة التي يمكن ان تحمي مصالحهم. وبالتالي كانوا يرون ضرورة الارتباط فيدراليا بها. ومهما كان علينا ان لا ننسى بان هؤلاء ومهما تعاطفوا مع اثيوبيا، فانهم بالدرجة الاولى ارتريون. وفي اعتقادي لا يريدون من اثيوبيا ان تخرب اقتصاد بلادهم.

تتحنح ادريس كعادته عندما لا يعجبه كلام محدثه، وسرعان ما قال وبصورة تتم عن الاحتجاج:-

- إنني اشك في اخلاص المنتمين لحزب الوحدة "الاندنت"، خاصة الكبار منهم. فهم في تقديري، ومهما كانت الظروف لا يمكن ان يتجاهلوا رغبات اثيوبيا ويقفوا مع الحق الارتري.

واضاف قائلاً:-

- اما المواقف السياسية لبعض الشخصيات من امثال القس ديمطروس قبرماريام، والسيد تسفاي ميكائيل ورقو فإنها كانت تتعارض مع الحق الارتري المشروع، اذ كانوا ولازالوا مع ضم ارتريا، بأي ثمن الى اثيوبيا. فكيف يمكن ان نصدق هؤلاء ؟ وكيف يمكن ان تدافع مثل هذه الشخصيات عن الحق الارتري وبصورة معلنة ؟.

تدخل السيد محمد نوراي قائلاً:-

- لا شك بوجود بعض الموالين لاثيوبيا، لكن هناك ايضا شخصيات من اعضاء حزب الوحدة "الاندنت" من لا تعجبهم التصرفات الاثيوبية، خاصة تلك التي تتعلق بسعي اثيوبيا للانتقال من هيبة وصلاحيه الحكومة الارترية.

واضاف:-

- في تقديري يسعى الاثيوبيون للتأثير على استقلالية وسيادة البرلمان الارتري. فهم كانوا ولازالوا يراهنون على الاغلبية البرلمانية المؤيدة لهم والمكونة اساسا من اعضاء حزب الوحدة "الاندنت" وحزب التقسيم، وذلك من اجل تمرير ما يريدونه. او بمعنى اصح ما يريدون فرضه على البرلمان. الا ان رهانهم هذا سوف يكون رهانا خاسرا. إذ ان بعضا من

المحسوبين على اثيوبيا بدأ بتوجيه النقد اللاذع للتدخلات الاثيوبية في الشؤون الارترية، كما حدث في جلسة البرلمان الاخيرة، وهذا ما اتمناه.

اتفق الرجلان للقاء مجددا، وتوجه السيد محمد نوراى الى منزله.

احس النظام الاثيوبي بخطورة الانتقادات التي وجهت للإجراءات التي اتخذها بشأن سحب التراخيص التجارية في جلسة البرلمان، خاصة تلك التي تبناها اعضاء من حزب الوحدة "الاندنت". وبدأ يخشى ان لا يغير حزب الوحدة "الاندنت" مواقفه تجاه سياساته نحو ارتريا، ويطالب بدلا منها بتطبيق قرار الاتحاد الفيدرالي والتمسك به. فقام ومن اجل قطع الطريق على ذلك، بممارسة شتى انواع الضغوطات على الحزب الواحدوي، حتى قام الاخير بتغيير قيادته التي رأسها قبرمسقل ولدو، لتحل محلها قيادة جديدة رأسها القس ديمطروس قبرماريام.

ومع مرور الوقت تمادى النظام الاثيوبي في التضيق على ارتريا، من خلال اتخاذ سلسلة من الاجراءات التعسفية للتأثير على الاقتصاد الارترى، مثل إيقاف المعاملة التفضيلية التي كانت ايطاليا تعامل بها الصادرات الارترية، والقيام بزيادة التعرفة الجمركية على البضائع الارترية المصدرة الى اثيوبيا حتى لا تتمكن من منافسة السلع الاثيوبية. مما اثر ذلك في ارتفاع اسعار السلع، وارتفاع تكاليف العمل. وادى في النهاية، كما كان مخططا له، الى اجبار العديد من المصانع والشركات الارترية الى إيقاف اعمالها، مثل مصانع انتاج السلع الاستهلاكية، ومصانع الملح والاقمشة، والورق والمواد الطبية، وشركات السياحة وال الطيران، والتصدير والاستيراد وغيرها.

كما قام النظام بالتدخل في صلاحيات المحاكم الارترية، والتضيق على الصحافة الارترية التي كانت تتمتع بحرية كاملة طوال فترة الانتداب البريطاني، مثل صحيفة "صوت ارتريا" لسان حال "الجبهة الديمقراطية" وغيرها من الصحف الارترية التي كانت تنتقد الاجراءات والتدخلات الاثيوبية في الشؤون الارترية. وقام بإلقاء القبض

على العديد من الصحفيين، وعلى اي مواطن يتجرأ على انتقاد اثيوبيا، او يدافع عن الحكومة الارترية، وزج بهم السجون.

وسرعان ما عادت الاعمال الارهابية، ونشط رجال العصابات "الشفتا" من جديد بعد ان تمكنت الحكومة الارترية التي رأسها السيد تدلا بايرو، وهو احد القيادات المعروفة لحزب الوحدة "الاندنت"، والذي كان من ابرز المتعاطفين مع نظام هيلي سيلاسي، من الحد من نشاطات تلك العصابات، من خلال اعادة تنظيم قوات البوليس الارترية.

وبالمقابل، وكرفض للسياسات الاثيوبية اندلعت العديد من المظاهرات في مختلف المدن والبلدات الارترية. وشمل الرفض ايضا اتحاد عمال ارتريا، والاتحادات المهنية مثل المتقنين والمعلمين، واصحاب المهن الحرة، وموظفي الحكومة، واعضاء البرلمان والعديد من قساوسة الكنيسة الارثوذكسية، ورجال الدين المسلمين.

(7)

في منتصف العام 1954م بدت امارات القلق ظاهرة على الاصدقاء الثلاث، ادريس وحقوص واسماعيل، وذلك نتيجة لإدراكهم لخطورة استمرار التوتر بين ممثل الامبراطور إندلكاتشو ماساي⁽¹⁾، والعديد من اعضاء البرلمان الارتري المنتسبين الى "الكتلة الديمقراطية" ومجموعة "الرابطة الاسلامية - لمنطقة مصوع" التي كانت تتادي بالفيدرالية وتتمسك بها. وكان لا بد لهم من السعي للقاء بالسيد محمد نوراي عضو البرلمان الارتري، والتباحث معه لمعرفة حقيقة الاوضاع الراهنة. وما ان التقوا كالعادة في دكان ادريس الكائن في السوق العربي في مدينة مصوع، حتى استهل السيد محمد نوراي الكلام قائلاً:-

- الاوضاع في بلادنا تمر من سيئ الى أسوأ. وهذا لم يكن إلا بفعل التدخل الاثيوبي في الشؤون الداخلية الارترية. فقد حرم الامبراطور هيلي سيلاسي ارتريا مؤخرًا من تحصيل عائداتها من الجمارك، دون ان يكتفي بالاجراءات التي فرضها لتدمير الاقتصاد الارتري. واصبح إندلكاتشو ماساي، ودون وجه حق، وبالتعارض مع ماينص عليه قرار الاتحاد الفيدرالي، يتدخل في كل صغيرة وكبيرة فيما يعنى ارتريا.

تدخل ادريس سائلاً:-

- وفي هكذا حالات الا يحق للبرلمان الارتري ايقاف تلك الممارسات .

رد السيد محمد نوراي:-

- من حق البرلمان الارتري، ووفقا للصلاحيات الممنوحة له في قرار الاتحاد الفيدرالي، التدخل وايقاف اي ممارسات تحد من صلاحيته عبر تقديم الشكاوى والالتماس سواء للامبراطور هيلي سيلاسي الذي يعتبر

⁽¹⁾ كان إندلكاتشو ماساي من كبار رجالات الدولة الاثيوبية، مفوضا ساميا للإمبراطور هيلي سيلاسي، وفقا لما نص عليه قرار الاتحاد الفيدرالي.

راعيا للاتحاد الفيدرالي، او هيئة الأمم المتحدة التي تعتبر بقوة القانون ضامنة للاتحاد الفيدرالي. والمعروف ان الحكومة الاثيوبية لا يحق لها التدخل في الشؤون الداخلية التي تعني ارتريا، والتي هي بموجب القرار الفيدرالي وحدة ذاتية تتمتع بحكم داخلي تدير شؤونها الداخلية دون اي تدخل او رقابة او وصاية من قبل الحكومة الاثيوبية، او حتى من قبل هيئة الأمم المتحدة.

واضاف:-

- وبناء على هذا الحق، لم يتهاون البرلمان الارتري في التمسك بصلاحياته. اذ اقر ارسال التماس، عن طريق رئيس الحكومة السيد تدلا بايرو، الى جلالة الامبراطور، يطالب فيه بتدخل جلالته لاييقاف تدخلات حكومته في الشؤون الداخلية لارتريا.

تحمس حقوص لمعرفة النتيجة عندما سأل قائلاً:-

- وماذا كان رد جلالته على التماس البرلمان الارتري ؟.

اجاب السيد محمد نوراي قائلاً:-

- تجاهل الامبراطور الالتماس الذي قدم له. بل استشاط غضبا عندما علم بان رئيس الحكومة الارترية تدلا بايرو قد قام باعادة تنظيم قوات البوليس الارترية. فلم يكن له الا ان استدعاه الى اديس ابابا وطلب منه بدون تباطؤ الغاء الاجراءات التي اتخذها لإعادة تنظيم قوات البوليس، واستبعاد الضباط الجدد فوراً.

كرر ادريس سؤال حقوص:-

- وماذا كان رد البرلمان على تجاهل الامبراطور لالتماسه ؟.

رد السيد محمد نوراي:-

- عندما احس البرلمان بفشل مجهودات رئيس الحكومة الارترية لإقناع الامبراطور بتحسين علاقاته بارتريا. اتخذ في الجلسة العادية التي عقدها في 22 مايو 1954م وبأغلبية الاصوات قرارا ينص على ان تحترم اثيوبيا سيادة الدستور الارتري. واذا لم تلتزم بذلك خلال فترة لا تتجاوز العشرون يوما، اعطاء الصلاحية لرئيس الحكومة لطلب تدخل الأمم المتحدة فورا.

تحمس السيد محمد نوراي عندما وجد تجاوبا وارتياحا من قبل مستمعيه ليقول:-

- بالإضافة الى ذلك ففي افتتاحية دورة عام 1954م للبرلمان الارتري، قدم الاعضاء الخمسة للمجلس الفيدرالي وعلى رأسهم السيد محمد عمر قاضي، احد زعماء "الرابطة الاسلامية - لمنطقة مصوع" احتجاجا على تدخل الحكومة الاثيوبية في كيفية تشكيل المحكمة الفيدرالية. واعتبر ذلك بمثابة التدخل الغير قانوني الذي يحد من صلاحية المجلس الفيدرالي. مما اثار حفيظة ممثل الامبراطور الذي اخذ في التهمج على الاعضاء الخمسة. ليجبر السيد محمد عمر قاضي في النهاية الى تقديم استقالته من المجلس الفيدرالي. كما تدخل النائب على عمر الذي كان احد قادة "الرابطة الاسلامية" مطالبا رئيس الحكومة الارترية، بتوضيح مبرر التدخلات الاثيوبية، واذا عجزت الحكومة الارترية من الحصول على ضمان من قبل اثيوبيا، بعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ان يقوم البرلمان بتقديم شكوى رسمية، للأمم المتحدة لإيقاف انتهاكات اثيوبيا.

تدخل ادريس بهدف التأكيد على الرفض المطلق للتدخلات الاثيوبية بقوله:-

- علمت من بعض الاصدقاء بان مجموعة من الاحزاب الارترية التي كان مسموحا لها بالنشاط السياسي وفقا لقرار الأمم المتحدة، والتي سرعان ما تم حلها بفعل التدخل الاثيوبي، قد عقدت فيما بينها اجتماعا اقرت فيه

ارسال احتجاج الى سكرتير الأمم المتحدة السيد داج همرشولد تطالب فيها بان تتخذ الأمم المتحدة الاجراء المطلوب لوقف الانتهاكات الاثيوبية المستمرة لمشروع قرار الاتحاد الفيدرالي. كما ارسلت برقية مماثلة للإمبراطور هيلي سيلاسي.

لاحظ ادريس، بانهم مروا على أندلكاتشو ماساي دون معرفة صلاحيته، ولذلك اراد ان يذكر السيد محمد نوراي بذلك عندما سأل قائلاً:-

- وماهي صلاحية أندلكاتشو ماساي حتى يتدخل بصورة قوية وكأنه الأمر والنهي في كل ما يتعلق بارتريا؟.

رد السيد محمد نوراي قائلاً:-

- أندلكاتشو ماساي هو احد الشخصيات الاثيوبية الاساسية الامينة والمرتبطة بقوة بالامبراطور هيلي سيلاسي ويحظى بقبوله. وقد عينه الامبراطور ممثلاً شخصياً له في ارتريا. اما فيما يتعلق بصلاحيته، ووفقاً لما نص عليه قرار الاتحاد الفيدرالي، فلم يكن يتجاوز تمثيل الامبراطور في المناسبات العامة، وحضور افتتاح الدورات البرلمانية الارترية كل عام، وتأجيل تنفيذ القرارات الفيدرالية حتى تحظى بقبول وموافقة المجلس الفيدرالي والامبراطور هيلي سيلاسي. إلا ان مهمته الاساسية فيما يبدو لم تكن فقط تمثيل الامبراطور، بل السعي بكل قوة لإجهاض الاتحاد الفيدرالي بين اثيوبيا وارتريا، بهدف ضم ارتريا الى الامبراطورية الاثيوبية.

واضاف قائلاً وبصورة مركزة:-

- عندما تم افتتاح دورة العام 1955 للبرلمان الارتري، الذي صادف في مارس من العام المذكور، وقف أندلكاتشو ماساي تحت سقف البرلمان الارتري، ليندد دون حياء او خجل، بقرار البرلمان على ارسال نسخة من

قرار رفضه للتدخل الاثيوبي الى الأمم المتحدة. وقال في خطاب افتتاحه للدورة البرلمانية وبالحرف الواحد، ليست هناك شؤون داخلية او خارجية لارتريا، وان شؤون ارتريا تهم اثيوبيا، كما تهم جلالة الامبراطور. ارتاح الزملاء الثلاثة لموقف البرلمان الارتري، واحسوا بان هناك معارضة داخل البرلمان، حتى وان كانت متأخرة، يمكن لها ان تتعامل بجدية تجاه تدخلات الحكومة الاثيوبية. وودعوا السيد محمد نوراي على امل اللقاء به مرة ثانية. لم يمض من الوقت ثلاث اشهر حتى ظهرت تطورات عامة، اذ بدأ الصراع يشتد ويظهر على السطح بين بعض من اعضاء البرلمان ورئيس الحكومة من ناحية، وبين البرلمان وممثل الامبراطور هيلي سيلاسي أندلكاتشو ماساي من ناحية اخرى، ليصبح ذلك سقوط رئيس الحكومة السيد تدلا بايرو، وغيرها من التطورات. فقرر الاصدقاء الثلاثة لقاء السيد محمد نوراي، وذلك من اجل معرفة حقيقة التطورات، واسباب سقوط السيد تدلا بايرو، ودوره في الصراعات التي كانت قائمة، وهل كان قادرا على مواجهة مخططات الامبراطور هيلي سيلاسي، الرامية الى التدخل في شؤون ارتريا الداخلية، وسعيه الى انتهاك سيادة برلمان وحكومة ارتريا. بذلك قدموا دعوة له، والتي قام بتلبيتها سريعا. ويلتئم شملهم هذه المرة في بيت حقوص اعدوم.

أستهل السيد محمد نوراي الحديث قائلا:-

- السيد تدلا بايرو هو احد المثقفين الاوائل، ويقال بانه نال تعليمه في كل من ايطاليا وفرنسا، وعمل في مجال التدريس. وهو شخصية سياسية قيادية مؤثرة في حزب الوحدة "الاندنت". وقد تبنى وتعاطف، بل دافع بشدة عن مفهوم وحدة ارتريا مع اثيوبيا. وانتخب كما هو معروف اول رئيس للحكومة الارترية.

والحق القول:-

- الا ان العديد من اعضاء البرلمان الارتري، وانا واحدا منهم، ينظرون بريبة تجاه رئيس الحكومة، وذلك لتجاهله وبصورة متعمدة للإجراءات التي تقوم بها الحكومة الاثيوبية، والهادفة الى النيل من سيادة الحكومة الارترية، والدستور الارتري. فهو لم يعارض القرار الاثيوي الذي صادر حق ارتريا في الحصول على عائداتها الجمركية، ولم يعارض انتشار وسيطرة الجيش الاثيوي على المدن والبلدات الارترية، ولم يقاوم او حتى يعارض عندما تم تعيين احد جنرالات الجيش الاثيوي حاكما عاما لمدينة عصب وضواحيها. ولم يحتج على مختلف الانتهاكات التي قامت بها اثيوبيا فيما يتعلق بقرار الاتحاد الفيدرالي. والحقيقة هي ان كل تلك الاجراءات التعسفية الاثيوبية لم تكن لتتخذ، مالم تكن هناك موافقة مسبقة عليها من قبل رئيس حكومتنا السيد تدلا بايرو.

تدخل ادريس بحدة وإمتعاص:-

- الدستور الارتري وكذا القرار الفيدرالي واضحين بما فيه الكفاية. فالنظام السياسي في ارتريا، وحسب ما اعلن هو نظام ديمقراطي برلماني. فهناك البرلمان وهو الجهة التشريعية، وهناك الحكومة وهي الجهة التنفيذية، وهناك القضاء. وكل هؤلاء مستقلون عن بعضهم البعض. ولا يسمح الدستور الارتري بان تتغول احدهما على حقوق وصلاحيه اي جهة. والسؤال الذي اود طرحه، هل البرلمان وهو الجهة التشريعية كما قلت، كان يراقب تصرفات الحكومة ؟ وكيف كانت تتم مسألتى المحاسبة والمراقبة ؟.

لم يتوقع السيد محمد نوراى ان يطرح عليه مثل هذه الاسئلة . ولم يكن مهياً للإجابة بالتفصيل عليهما. الا انه احس بان الواجب يملي عليه القول بما يؤمن به، وطرح الحقيقة مهما كانت نتائجها فقال:-

- كلنا يعلم بان تجربتنا البرلمانية هي تجربة حديثة. وهناك العديد من النواقص والاشكالات التي تعترض مسألتي المحاسبة والمراقبة. والواقع فان تركيبة برلماننا، لم تكن بالتركيبة الصحيحة، فمعظم من هم في البرلمان لم ينتخبوا الا من خلال الاعتبارات الطائفية، والاقليمية والنقل القبلي. إلى درجة ان هناك العديد من الشخصيات البرلمانية التي لا تفقه حتى ابسط قواعد المساءلة والمحاسبة، وتعتقد بان جلوسها في المقعد البرلماني، لم يكن إلا نتيجة لنقلها وتأثيرها الشخصي.

واضاف قائلاً:-

- ومع ذلك فقد كان هناك نقدا لاذعا، من قبل العديد من اعضاء البرلمان، للتصرفات والاجراءات الاثيوبية. إلى درجة ان البعض كان يطالب بتدخل الأمم المتحدة لإنقاذ الاتحاد الفيدرالي.

تدخل اسماعيل رغبة منه في مزيد من توضيح الامر متسائلاً:-

- لقد سبق وان شرحت لنا الاعتراضات التي كان يقوم بها العديد من اعضاء البرلمان، تجاه تدخلات الحكومة الاثيوبية. وما يهمنا هنا هو كيف كان يتصرف رئيس الحكومة تجاه اعتراضات اعضاء البرلمان؟.

رد السيد محمد نوراى:-

- لم يكن السيد رئيس الحكومة بالشخصية القادرة على مواجهة الانتهاكات الاثيوبية، فكان يغض النظر عنها. وربما يعود السبب في ذلك حسب تقديري، للتعاطف الذي كان يبديه تجاه المطلب الاثيوبي المتمثل في صهر ارتريا في بوتقة الامبراطورية الاثيوبية.

ارتاح اسماعيل للرد الذي سمعه. الا ان ادريس اراد ان يواصل فطرح السؤال

التالي:-

- يقال بان السيد رئيس الحكومة كان يتجاهل خروقات بعض اعضاء البرلمان. فامدى صحة ذلك ؟.

رد السيد محمد نوراي قائلاً:-

- لم يكن السيد تدلا بايرو يهتم إلا بمن يريد الاهتمام بهم. فهو لم يكن يتجاهل من يخرق قواعد واسس العمل البرلماني الارثري فقط، بل كان هو المبادر الاول في خرق تلك القواعد والاسس. فقد كان من المتعارف عليه، بان لا يتبوا اي عضو برلماني منصبا حكوميا، ويتحصل في آن واحد على راتبين من الحكومة. الا ان رئيس الحكومة خرق هذا العرف بتعيين بعض افراد البرلمان في وظائف حكومية مثل تعيين بلاتا دمساس وهو نائب رئيس البرلمان كمستشار في ادارة مدينة اسمر، وبالتالي كان يتحصل من الحكومة على راتبين.

تدخل حقوص بصورة مفاجئة ليقول:-

- وماهو العيب في ان يتبوا العضو البرلماني مركزين حكوميين في آن واحد؟.

ابتسم السيد محمد نوراي ورد عليه قائلاً:-

- ان الحكمة في عدم تبوء مركزين حكوميين في آن واحد هو من اجل ابعاد ازدواجية الولاء. فاذا عين عضو برلماني في موقع حكومي اضافي، فان ولاءه سوف يكون لرئيس الحكومة بحكم المصلحة الخاصة. وسوف لا يتمكن ذلك العضو تمثيل من انتخابه والدفاع عن مصالحهم في البرلمان. وبالتالي لا يستطيع ان ينتقد الحكومة ورئيسها على المخالفات التي تتم بحق المواطنين.

واضاف:-

- بالإضافة الى ذلك فان السيد رئيس الحكومة كان يستخدم سلطته السياسية لتصفية حساباته مع من يعتبرهم خصوم سياسيين له. فقد كان يقوم بمضايقة السيد ولدآب ولدماريام، ويسعى قدر الاستطاعة الى تشويه سمعة الرأس تسما. ومن هنا فانه استطاع القول بان رئيس الحكومة لم يحترم تعهداته في احترام الدستور الارترى، واستغل سلطته السياسية في مساعدة من لم يستحق المساعدة، وفي تشويه المناوئين السياسيين له. وهذا ما خلق صراعا حادا بينه وبين العديد من اعضاء البرلمان.

اعتقد الاستاذ محمد نوراي بان الاصدقاء الثلاثة قد افرغوا ما كان في جعبتهم من اسئلة. وفجأة طرح اسماعيل السؤال التالي ؟.

- وماذا عن العلاقة القائمة بين رئيس الحكومة وممثل الامبراطور ؟ وكيف امكن تحية رئيس الحكومة ؟.

بدت على السيد محمد نوراي علامة الارهاق، ومع هذا لم يشأ ان يتجاهل السؤال الذي طرح عليه، واعتبره سؤالا هاما، يستحق الرد فقال:-

- العلاقة بين الرجلين كانت سيئة للغاية. فرئيس الحكومة كان يعتقد بانه الاكثر قربا من الامبراطور هيلي سيلاسي. وان أندلكاتشو ماساي ما هو سوى شخصية مسلوبة الارادة، ولا يمكن ان يؤثر على مجرى الاحداث اكثر منه. بالإضافة الى ذلك فقد كان في خصومة حادة مع السيد أسفها ولدي ميكائيل الذي كان نائبا لممثل الامبراطور أندلكاتشو ماساي وعلى علاقة مصلحية جيدة به. بينما كان ممثل الامبراطور يفضل السيد أسفها ولدي ميكائيل على رئيس الحكومة. ومن هنا كانت تظهر بين الحين والاخرى بعض الحساسيات الشخصية بين الرجلين، تصل بعض الاحيان الى القطيعة، وعدم التحدث او السلام والتحايا المتبادلة.

واضاف الاستاذ محمد نوراي وهو يصف نتيجة الصراع:-

- وصل النزاع بين اعضاء البرلمان ورئيس الحكومة الى ذروته حتى اصبح التنافر بين الفرقاء يشكل عقبة في التواجد تحت سقف البرلمان بين مختلف الفرقاء. واخذ العديد من اعضاء البرلمان، وعلى رأسهم القس ديمطروس قبرماريام، الذي كان في صراع شخصي مع رئيس الحكومة، وبدعم من أندلكانتشو ماساي يطالبون الامبراطور هيلي سيلاسي ببتحية رئيس الحكومة. فأستدعى الامبراطور رئيس الحكومة، ورئيس البرلمان علي موسى رادآي الى اديس ابابا وطلب منهما تقديم استقالتيهما فوراً. وطلب في نفس الوقت من الفيتوراري أسفها ولدي ميكائيل تقديم نفسه للبرلمان كمرشح لرأسة الحكومة، والتي سرعان مافاز بها، وتم تعيين ادريس محمد آدم خلفا لرئيس البرلمان الارترى.

أدرك الاصدقاء الثلاثة بان من الواجب عليهما ترك السيد محمد نوراي ليأخذ الراحة، خاصة وانه ولساعات عديدة كان يرد على اسئلتهم دون تحفظ، وبرضى تام. فقرروا توديعه بحرارة ملفتة، واتفقوا معه للقاء متى ما ساحت لهم الظروف لإكمال مناقشاتهم فيما يخص مستجدات وتطورات الاوضاع السياسية في ارتريا. ما ان سقط رئيس الحكومة تدلا بايرو، واستبدل بأسفها ولدي ميكائيل، وتم عقد تحالف ثلاثي من اسفها ولدي ميكائيل، والقس ديمطروس قبرماريام، والعقيد تدلا عقبيت. كانت اهدافه المباشرة العمل على تقويض قرار الاتحاد الفيدرالي خطوة خطوة حتى يتم تحقيق ضم ارتريا الى اثيوبيا. ويقول الاستاذ محمد نوراي بهذا الصدد في احدى اجتماعاته بالأصدقاء الثلاثة ادريس وحقوص واسماعيل:-

- اقر اعضاء التحالف بان تحقيق غاية ضم ارتريا بأثيوبيا لا تتم إلا من خلال اسكات صوت المعارضين لهم داخل البرلمان مرة والى الابد

كخطوة اولية. ولذلك دعوا الى اجراء انتخابات برلمانية جديدة، ليتمكن
هذا من استجلاب اعضاء جدد موالين لسياستهم.

واضاف قائلاً:-

- تحرك الثلاثة داخل البرلمان للحصول على التأييد المطلوب لاجراء
الانتخابات. الا انهم وكما كانوا يتوقعون اصطدموا بالعديد من اعضاء
البرلمان الذين رفضوا اجراء الانتخابات وفقا للإعلان القانوني رقم 121
لعام 1952م الذي تمسك به رئيس الحكومة السيد أسفها ولدوميكائيل،
وطالبو بإلغاء الاعلان المذكور، واعطاء الحق للمحكمة الارترية العليا
لتشكل لجنة انتخابية يعهد اليها اجراء الانتخابات بصورة صحيحة
ونزيهة، وفقا لما ينص عليه الدستور الارتري. وعندما احس رئيس
الحكومة بجدية المعارضة قام وحلفاؤه الى تأليب مؤيديهم من البرلمانين
المعروفين بالأغلبية البرلمانية لتحجيم المعارضين. وكانت النتيجة اقالة
رئيس البرلمان السيد ادريس محمد آدم الذي رفض اجراء الانتخابات
وفقا للإعلان الانتخابي رقم 121، وتم استبداله بالسيد حامد فرج حامد.

اراد ادريس الاستفسار عن الاعلان الانتخابي رقم 121 لعام 1952م بسؤاله:-

- ماذا يعني الاعلان الانتخابي رقم 121، وما هو محتواه.

رد الاستاذ محمد نوراي قائلاً:-

- لم يكن الاعلان الانتخابي المعروف برقم 121 لعام 1952م إلا طبخة
انجليزية اريد لها ان تمكن رؤساء الطوائف، والاقاليم والقبائل الارترية
من الوصول الى كراسي البرلمان. ولذلك لم يكن ذلك القانون يسمح
باجراء انتخابات حرة ونزيهة. فهو كان ينص على ان تتم الانتخابات
البرلمانية في اسمرا ومصوع بصورة مباشرة، اي بمعنى ان يشترك فيها
المواطنون بصورة مباشرة، ويكون لكل مواطن فيها صوت واحد. اما

المواطنون في المناطق الارترية الاخرى، فلم يكن لهم الحق بالانتخاب المباشر، بل اعطي هذا الحق للجان المناطق لإختيار من يرونهم اهلا لتمثيل المواطنين.

واضاف الاستاذ مواصلا حديثه:-

- ما ان حل شهر يوليو 1956م، وعلى الرغم من احتجاجات العديد من البرلمانيين، حتى اصدر البرلمان الارترى الذي هيمن عليه انصار التحالف الثلاثي قرارا بإجراء الانتخابات وفقا للإعلان الانتخابي رقم 121. وبذا تمكن مؤيدو اثيوبيا من الامساك بالبرلمان ليتسنى لهم اقرار ما يريدونه.

تمكن رئيس الحكومة اسفها ولدي ميكائيل من الحصول على موافقة البرلمان لإجراء الانتخابات التي ارادها. ودون اضاءة للوقت، وتحت حجة محاربة نشاطات "الشفة"، والحد من حالة الفوضى، اعلن عن منع الاجتماعات، وقام بالتضييق على الحريات العامة، ووقف اعمال ونشاطات الاحزاب السياسية، بإستثناء اعمال ونشاطات حزب الوحدة "الاندنت". حتى اصبح من المتعذر على ثلاثة او اربعة اشخاص التجمع او التحدث سواء في المقاهي او الاسواق او حتى في الشوارع العامة. واصبح الناس عرضة لمسائلة رجال المباحث العامة في اي وقت، خاصة بعد غروب الشمس.

ادت تلك الحالة المتوترة التي سادت كل انحاء ارتريا الى قيام الطلبة بإضرابات واحتجاجات عامة، ورفضوا الجلوس على المقاعد لدراسة اللغة الامهرية التي تبنتها حكومة اسفها ولدي ميكائيل كلغة بديلة للغات الارترية، كما رفضوا تقديم التحية للعلم الاثيوبي، وانشاد النشيد الوطني الاثيوبي في طابور الصباح. وخابت كل المحاولات التي قامت بها الحكومة لثني الطلبة من التظاهر والاعتصام، مما

ادى في نهاية المطاف الى اعتقال العديد من الطلبة وأولياء امورهم، وطرد البعض منهم من الفصول الدراسية.

كما قام اتحاد العمال الارتري باضرابات واسعة في العديد من المدن خاصة في العاصمة اسمرأ، وكل من مدينتي عصب ومصوع، وذلك تعبيرا عن الاحتجاج على سياسة التخريب الاقتصادي والسياسي الذي مارسته الحكومة الاثيوبية. وكان الرد على ذلك قيام الحكومة الاثيوبية بإعتقال العديد من قيادات الاتحاد، وتشريد المئات من العمال من مختلف المصانع والمزارع التابعة للحكومة ورجالاتها، واغلاق مقرات الاتحاد في كل مدن وبلدات ارتريا.